الديوان التاسع

هدية الحجاز
أرمغان حجاز

نقله من الفارسية شعرا

الدكتور حسين مجيب المصري

طرحِ نو افگن که ما جدّت پسند افتاده ایم
ایں چه حیرت خانهٔ امروز و فردا ساختی

نُشِرَ هذا الديوان بعد وفاة الشاعر ، وهو عبارة عن الشعر الفارسيِّ والأردويِّ معاً ، وهو يتألَّف من قسمين ، أولهما يحتوي الرباعيات الفارسية التي ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري ، والثاني يحتوي منظومات وقصائد قصيرة باللغة الأردوية ، الذي ترجمه نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، وفيه قصيدة بديعة عنوانها « برلمان إبليس » وصف فيها الشاعر وصوَّر جلسةً برلمانيةً ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ، ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسيَّة والعصرية التي تهدِّد مهمتهم في العالم ، وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ووجهات نظرهم ، وترأَّس هذه الجلسة وأشرف عليها « إبليس » فحكم على هذه الآراء والدراسات ، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، وبُعْدِ نظره الذي لا يُشاركه فيه أحد من تلامذته ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسَّس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخَّص في أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفء لنظامه ، وهو الشرارة التي تتحوَّل ناراً بسرعة ، فالمصلحة والرأيُ أن يركِّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربة هذا العدوِّ ، أو إلهائه ، وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة (من القسم الثاني) من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسيَّة .

وأما القسم الأول المتعلق بالرباعيات الفارسية فهو يحتوي على ثلاثة أبواب ، ومنها الباب الأول يتعلق بالله عز وجل ، وفيه يستنهج سبيل المتصوفة في تضرُّعهم إلى الله ومناجاتهم له والإبانة عما تموج به قلوبهم من عشق إلهيّ هو غاية الغايات في سمو الروحانية . بيد أنه يعارض المتصوفة في تهافتهم على توكُّلهم واستكانتهم وقطع الأسباب بينهم وبين دنياهم ، ويرى في هذا ما ينافر واقع الحياة ، ويحيد عن القصد ، ويتجافى عن الصواب ، ويصد عن فهم

صريح القرآن . فالمؤمن الموقن يعمل لدنياه كأنه سيعيش أبداً ، وينهض بالبشرية إلى ذروة المثالية ، ويوائم بين دنياه وآخرته .

وهو يحب الله بقلب صوفيٍّ واصل دلَّهه الشوق والتوق ، فيقول معبِّراً عن وجده وكمده :

هيـاجٌ مـاجَ فـي مـاء وطيـن بـلاءُ العشـقِ مـنْ قلـبٍ حَـزِيـن
قَـرَاري بـرهـةٌ حقـاً حـرام فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

كما يتشبه بهم بعض الشيء في انصرافهم تمام الانصراف إلى الاستغراق في عشقِ الذات الإلهية بقطع النظر عن كل ما عداها ، ولا غرو فهم القائلون إنهم يحبون الله ، ولكن لا رغبةً في الجنة ولا رهبةً من النار ، وهذا هو الحبُّ الحقُّ بالمعنى الأصحِّ الأدقِّ ، لأنه الروحانية في شفافيتها التي لا تعلق شائبة من المادية بصفائها :

لـي الـداريـن إنِّـي لا أريـدْ وحسبـي فهـم مـا روحٌ تفيـدْ
فهبني سجدتي فيها احتراقي ومنهـا الكـون فـي وجـدٍ يميـدْ

غير أن إقبالاً حتى وهو في نشوته الروحية الغامرة يعبر عن عاطفته الدافقة لا ينسى القوم من حوله ، ولا يقتلع نفسه من الناس يموج بهم معترك الحياة ، فالغيرية مهيمنة عليه وإن استبدت الأنانية بسواه ، لأنه يتفجَّع ويتوجَّع للخلق وقد تردَّوا في ضلالهم وتحيَّروا في طريقهم ، وعزَّ عليه ألا يذكُرُهم وهو في مناجاة ربه ، فجأر بشكواه من حالهم ، داعياً من طرفٍ خفيٍّ بالخير لهم ، بعد أن نصب نفسه داعية حقٍّ يبيِّنه لهم ليضع أمرهم في نصابه :

علـى قـومٍ إلهـي فلتُعنِّـي كَـرَاعـي الضـأن عـالِمهُـمْ بفـنِّ
رأت عينـاي مـا يقـذي عيـونـاً ألا يـا ليـت أمـي لـم تلِـدنـي

وبعد أن تأذى بمناقص الناس ومعايبهم في رأيه ، كان على ذكر من الإنسانية ، ولم يفُتْهُ أن يجري قولها على لسانه لأنه الجزء الذي لن يتجزَّأ منها ،

وتكشف عن شخصيته الإيجابية وعبقريته المتفتحة المنطلقة التي طوَّعها لخدمتها ، فدعا ربه لها وأمله أن يستجاب ، وتضمن دعاؤه جوهر فكرته وأساس نزعته وملامح كيانه العقليّ والروحيّ وهو يقول :

إلهي زِنْ لنا خيراً وشرا هب الدنيا نعيماً مستمرا
وشاهدنا خلقنا من تراب لنجعل عالم الغبراء نضرا

أما في الباب الثاني من الكتاب فلا يوجه خطاباً ولا دعاءً إلى كائنٍ من كان ، أو على التحديد لا يصرح واضحَ التصريح بمن يخاطبه كما كان شأنه في الباب الأول . وهو يجنح إلى رمزية حالمة يستشف منها أنه سعى إلى بيت الله حاجاً ، وأن فؤاده مشوق إلى أرض الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وله ولع بوصف سفرته الطويلة ولعله يتأثر في ذلك بشعراء المتصوفة وهم يتمثلون التصوف طريقاً يشكو سالكها من طولها ووعورتها . غير أنه أرق منهم قلباً وأجمل وصفاً وأدق تصويراً في نحو قوله :

مساءٌ مثل صبحٍ قد تبسَّم تمطَّى صبحُها والليلُ أظْلَم
تمهَّل إن خطوت على رمالٍ كقلبي كلها قلبٌ تألَّم

ويفرغ من تصوير عاطفته ليولِّي عقله شطر حال المسلمين ، فلا جرم لقد ذكره مهد الإسلام بها ، فتساءل عن عاقبة أمرهم ورفع كربهم ، وساءه أن يكون للمسلم قلبٌ أقْفَرَ من حبيب ، وهو يلمِّح بذلك إلى أنَّ صلاح حال المسلمين لن يكون إلا بالوقوف عند حدود الدين ، ولزام أن يرقَّ قلبهم للتقوى .

غير أنه لا يرتضي من علماء الإسلامِ إلا أن يمعنوا النظر في الدين ليفهموه حق الفهم ، ويكره منهم أن يغفل بعضهم عن دعوة الدين إلى الكفاح من أجل غدٍ أسعد ، والعمل لخير الناس كافة ، وطرح العداء والشحناء والعيش في ظل الإخاء والصفاء ، كما ربأ بهم أن يتوهموا الدين جموداً وخموداً ، فالدين قوام الحياة يصلحها في كلِّ أمورها ، ويسمو بها في كل مناحيها . كما يكره للمؤمن الحق أن يكون متواكلاً منطوياً .

والباب الثالث خاص بالمجتمع أو الشعب ، وقد صدَّره بقوله « **صل قلبك بالله واسلك طريق المصطفى** » وتندرج تحته عدة فصول وعناوين .

وهو في حديثه عن الجماعة يريد ليبصِّرها بمبادئه المثالية ونزعته الإنسانية ، ويبذل النصح مهيباً بها ألا تتخلف عن ركب التقدمية ، وأول ما يحبه للشعب أن يتآخى أفراده ويعرف كل منهم قدر نفسه دون أن يتعدى على حق غيره ، وبئسما الشعب يخضع فيه فرد ويذل لمن يطغى ، ويذل وينتزع الثمرة بغير حق من يد من لقي ما لقي من تعب في زرع شجرتها ، فهذا ما يغضب الله على الشعب كله وقد كبر مقتاً عنده تعالى :

ولاةُ الأمرِ من ربِّي لشعبٍ ... زماماً يملكون لكلِّ أمرِ
ولكن لا يحب الله شعباً ... به الفلَّاح يزرعُ كيْ يلبِّي

ويخصُّ الذاتية بالذكر لأنَّه من يجلُّ ذات الإنسان إلى أبعد مدى ، وهو بذلك مخالف للصوفية الذين أرادوا المحو التام لها والقضاء المبرم عليها إلى أن تفنى في الله ، كما أن بعض المدارس الفلسفية والدينية تحط من قيمتها وتنفي عنها كل قوة وقدرة . وها هو ذا يعلي من قدرها ويستعير من المجاز لوصف حقيقتها :

لذاتك لا إله فضم مرَّه ... لتُخرِج من ترابٍ مات نَظْرَه
ولا تقبض يمينك عن وجودٍ ... له القمران في وهق يجرَّه

ومن فصول هذا الباب فصل بعنوان « الصوفي والملَّا » ، بمعنى الصوفي والشيخ . وإقبال يرمز بهما إلى موقفين لبعض المسلمين لا يقعان في نفسه موقع الرضا ، وهما موقف السلبيين الخاملين ، وموقف المتزمتين الجامدين . وهو من بعد يعرض الصوفي والشيخ في صورة المضحوك منه المسخور به ، مبالغة في توكيد الحقيقة التي يريد تناولها بالإيضاح . وما من ريب في أنه متأثر في هذا بمألوف شعراء التصوف في تهكمهم بالشيخ غير المتصوف ، غير أنه صاحب الرأي المخالف والمجدد غير المقلد حين يغلظ اللائمة على الصوفي والشيخ في

وقت معاً . فعنده أن الشيخ آخذ بالمظهر لا يتجاوزه إلى الجوهر ، أما الصوفيّ في عزلته وسلبيَّته فيشاهد حرمة الإسلام تنتهك ولا يحرك لساناً ولا يداً . وإقبال يدعو إلى تدبُّر آيات الكتاب الكريم التي تهدي سبيل الرشاد وتقطع الشك باليقين وتصلح بها حال العالمين . أما الشرط الذي يفرضه ، فهو ضرورة فهمها على الحقيقة التي ليس فيها من مراء :

لمُـلَّا أو لصـوفـيٍّ أسيـر ! وفـي القـرآن للعيـش الكثيـر
مـن الآيـات مـا أدركـتَ شيئـاً ومـن يـاسيـن بُغْيَتَـكَ الحَفِيـر !

وفي فصل عن الخلافة والملك ، يدلي الشاعر برأيه فيهما ويدعو إلى الأخذ بتعاليم الإسلام في الحكم وسياسة الملك . ثم أفضى به القول إلى ذكر الأتراك في نهضتهم الحديثة . غير أنه عاب عليهم أن يتهافتوا على تقليد الأوربيين ورأى ذلك زراية بهم وتجريحاً لعزة نفسهم ، لأنه الداعي على الدوام إلى احترام ذات الفرد والجماعة ، الموصى بالغوص على أعماقها للكشف عن قدراتها وملكاتها وهباتها ، وهو لا يرتضي للتركي أن يظل من الفرنجة في قيود ويبقى أسيراً لسحر طلسمهم ، كما يحزنه أن يكون المسلم عن تراثه المجيد من الغافلين ، وأن يعصب عينه ليقوده الأجنبي إلى المصير . وبذلك يلتمس إقبال ما استطاع إليه سبيلاً من أمثلة لإشاعة رأيه وإذاعة مبدئه .

وتتجلَّى دعوته إلى التأدُّب بآداب الإسلام والأخذ بأوامره ونواهيه حين يوجه الخطاب إلى فتاة المجتمع ويزعها عن أن تتزين وتتبرج ، كما يذكرها بعظم فضلها أماً صالحة ، ويرغب إليها أن توصى بالنظر في القرآن ، ثم يبين لها كيف أن ذلك يمكنها من تسوية النفوس ، إلى أن يضرب لها المثل بما كان من أمر أخت عمر بن الخطاب حين شاهد القرآن بين يديها فدفعته إليه ليقرأ حتى رق للإسلام قلبه .

وإقبال ساخطٌ على ما آلت إليه الأمور في العصر الحاضر ، فهو القائل فيه :

وعصرٌ منه للدين الشكاة وحـرِّيـاتِـه وأَدَ الطغـاة

كما أنه يقدح في شبابه لأنهم ليسوا على بينة من أمر دينهم ، ويغمز فيهم لأنهم يقلدون الفرنجة في رقصهم ، فمن أقبح العيب عنده أن يقلِّدوا ، وتلك منه دعوة ضمنية إلى شدة التمسك بالذاتية .

ويريد ليحرك مسلماً من ركوده وجموده فيذكره بالبرهمي الذي يضع ما يعبد من صنم تحت بصره تبركاً وتعظيماً وإعزازاً ، على حين خلا طاق بعض المسلمين من مصحف يزدان به ، كما يظهر الإعجاب ببرهميّ لا يكل عن العمل الدائب ساعدُه القوي ، وينحت له به صنماً من الصخر الصلود . ثم يضرب أمثلة عدة وغايته من هذا كله أن يشحذ من همم المسلمين ليلتمسوا الوسائل إلى الغايات ويبتغوا بالعمل وجوه النجح .

ويتصدى للتعليم ، وفي نظره أن العلم يرسو على أساس من الحس ، وهو يمد الإنسان بقوة تتبع الدين ولا بد ، وإلا فلن تكون إلا قوة شيطانية . كما أن العلم مقطوع الصلة بالعشق ، ثائرٌ متمرِّد كالشيطان . أما إذا زاوجه العشق فهو إلهي الصفات . وبهذا العشق تكتسب الحياة مالها من معان ، ويصبح العلم بفضل منه نعمة للبشر .

القسم الأوَّل

(بالفارسيَّة)

سبق ملا ہے یہ معراجِ مصطفیٰؐ سے مجھے
کہ عالمِ بشریّت کی زد میں ہے گردوں!

ألَا يـا حبَّـذا تِلـكَ الطـريـقْ تطولُ ولَا يؤَانِسها الرفيقْ
لها الزفراتُ، فافتحْ منكَ قلباً لتحرقَ فيه حزناً لا تطيق

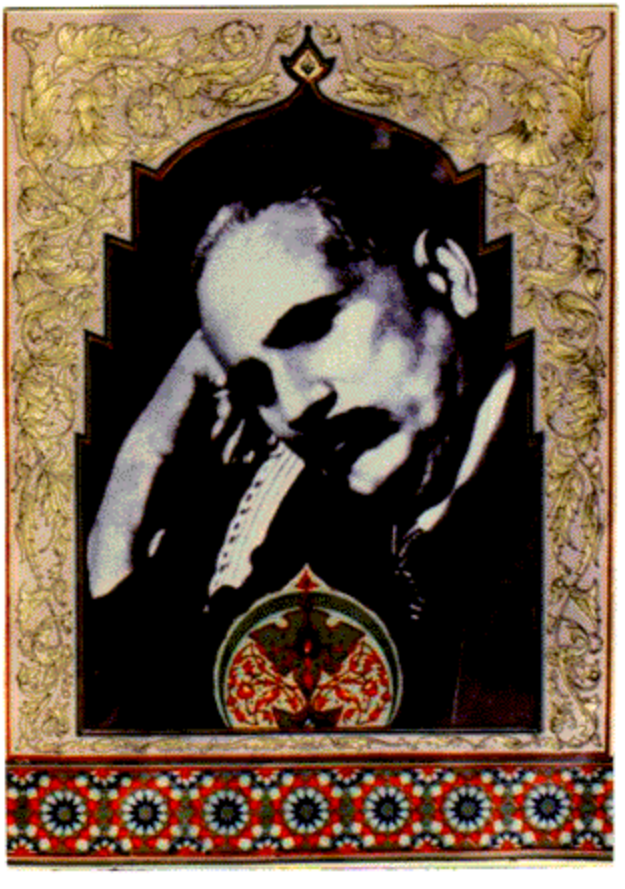

الدكتور الشيخ محمد اقبال فی شبابه

القسم الأول[1]

(المترجم من الفارسية)

مُنَاجَاة

---

(١) القسم الأول والثاني والثالث لهذا الديوان نقله من الفارسية إلى العربية شعراً الدكتور حسين مجيب المصري .

عذابِ دانشِ حاضر سے باخبر ہوں میں
کہ میں اس آگ میں ڈالا گیا ہوں مثلِ خلیلؑ!

في الحضرة الإلهيَّة

لقد سلبوا لنا قلباً ومرُّوا ... وكانوا شعلةً خمدتْ ومرُّوا
عوامّ القومِ عايشْهمْ رُويدا ... فإن خواصهم ثمِلُوا ومرُّوا

* * *

أطَالُوا القولَ شَكّاً في وجودي ... وقد أقصرتُ عن قولٍ سديدِ[1]
لحيّ القلبِ هل تدري سجوداً ... عليّ احكم بهذا من سجودي

* * *

فؤادي كان قيدَ الكيفِ والكمّ ... يرى لكن وراءَ البدرِ إن تمْ
خلاء هبه حتى في سعير ... بخلوته كفوراً فهوَ يهتمْ
هياجٌ ماجَ في ماءٍ وطينْ ... بلاءُ العشقِ منْ قلبٍ حزينْ
قراري برهةً حقاً حرام ... فرفقاً ، شأنُ قلبي من شؤوني

* * *

أجبني من عن الدنيا تخلَّى ... لها حسن ، لمن حُسْنٍ تجلَّى[2]
تقولُ احذرْ من الشيطان لكنْ ... أتعرفْ موجِدَ الشيطانِ أم لا ؟

* * *

ولي قلبٌ طليقٌ في عذابِ ... نصيبي من عتابٍ أو خطابِ

---

(١) أقصر عن القول : سكت عنه .

(٢) تخلى عن الدنيا : زهد فيها وقطع ما بينه وبينها من أسباب .

لإبليسَ أنا ما سؤت قلباً خطيئة كلِّ حينٍ من صوابِ
صبنتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مجرَاها اليمينا[1]
إذا ما كَانَ هَذَا دأبَ عشقٍ بكأسكَ فاضربِ البيتَ المصونا[2]

* * *

أسيرُ هوى ، على النفس انطواءُ به ألمٌ ومَا يجْدِي دَوَاءُ
عجيبٌ أَنْ تُكَلِّفنِي سُجُودَا خراجُ الأرضِ والأرضُ الخلاء !؟

* * *

بلا أمدٍ تراخى بي طريق نثرتُ الحبَّ ، أين لي الوريق[3]
من الآلامِ لا أخشى ولكنْ بهذا القلبِ هبْ ألماً يليق
سريع السكر لا تُرشِف شرابي وأبعد عن غريرٍ في ارتياب[4]
عن القصباءِ يحسن بُعد نارٍ خواصَّ القومِ وحدهمُ فحابِ[5]

* * *

أأنت لقيتَ في طلب لغوبا وما أصليتُ في شوقٍ لهيبا[6]

---

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم ، وصبنت : بمعنى صددت وصرفت . ومن شعراء الفرس من ضمنوا شعرهم الفارسي أبياتاً عربية . وتعرف أشعارهم بالملمعات . وأصل التلميع أن يكون في جسم الفرس أجزاء من لون يخالف لون جسمه فسمي هذا الشعر ملمعاً على التشبيه .

(٢) الدأب : الشأن والعادة وفي الأصل فاضرب بكأسك جدار الحرم . وحقيق بالذكر أن الخمر هنا هي خمر الصوفية التي يرمز بها إلى العشق الإلهي . ولعمر بن الفارض خمرية مشهورة مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) الأمد . الغاية . الوريق : الكثير الورق من الشجر .

(٤) الغرير : من لا تجربة له .

(٥) القصباء : منبت القصّب . وهو كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً .

(٦) اللغوب : التعب .

وإنِّـي هـارب مـن لا مكـانـي فَنَوحُ الوَهْنِ لم يُشْجِ القُلُوبا[1]

***

أثـرْ دنيـاك خـذ منـي المثيـرا بهـا التغييـر فـاجعلـه الكبيـرا
لـك الإنسـان فـاخلـق مـن ثـراهـا أبِـرْ مـن كـان للمـال الأسيـرا[2]

***

بنـورِ الشمـسِ دنيـانَـا ظـلام وليـس الحـقُّ مـا أدّى كَـلام
إلـى كـم ، إنَّ دنيـانـا خـراب سيكسـوهـا دمـاءهـمُ الأنـام[3]

***

---

(١) الوهن : منتصف الليل . ويتردد ذكر المكان واللامكان والجهات في شعر إقبال مما يبعثنا على الإشارة إلى تلك المقولة عند الفلاسفة . فيرى أفلاطون أن المكان يستحيل عليه الفناء وإليه مأوى المخلوقات . ويقول أرسطو إن وجود المكان متعلق بوجود العالم المتناهي، وقد تابعه على ذلك الفارابي وابن سينا من فلاسفة المسلمين. والمكان في نظر الرواقيين فراغ متوهم تشغله الأجسام ولا وجود له في ذاته فليس بحقيقة . وقد بين الأشعري إلى أي حدٍّ اختلفت الآراء في المكان فعند بعضهم أنه ما يقل الشيء ويكون الشيء متمكناً فيه . وقال غيرهم إنه ما يماس الشيء ، وإذا ما تماس الشيئان فكل منهما مكان بصاحبه . وعند غيرهم أنه ما يعتمد عليه الشيء أو لا يعتمد ويمنعه من السقوط . كما قيل إنه الجو وقيل هو ما يتناهى الشيء إليه . أما المتكلمون فيرون أنه الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ منه أبعاده. ويضيف أحد فلاسفة الإسلام إلى بعد الطول والعرض للمكان بعداً ثالثاً هو العمق . ويوضح ذلك بالإناء والدار، فيقول إن الإناء قد يمتلىء بالشراب ويخلو منه ، كما تعمر الدار بساكنيها ويهجرها من فيها فليس ذلك الممتلىء الخالي هو السطح الباطن بل هو العمق بأسره . ولقد دلتني الدكتورة سهير فضل الله مدرِّسة الفلسفة الإسلامية بكلية البنات من جامعة عين شمس على بحث لها في هذا الموضوع ، فشكرها من أوجب الواجب [الأستاذ المترجم] .

(٢) أبار : أهلك .

(٣) الأنام : الناس .

رضـــاك ، فـــإننـــي عبـــد ذليـــل بـــأمـــر منـــك يمضـــي بـــي السبيـــل
إذا مـــا قلـــت سَـــمٌ العَيـــر طـــرفـــاً فهـــذا القَـــول حقـــاً لا أقـــول[1]

***

فـــؤادي ليـــس فيـــه مـــن حُبُـــور ومن لهب خلا من تُربي ونور[2]
صـــلاتـــي تلـــك خـــذ منهـــا ثـــوابـــاً صلاتي ليس فيها من حضور ![3]
أعـــن ديـــنٍ وعـــن وطـــنٍ كـــلامـــي وهـــذا الســـرّ يُطـــوى بـــالتمـــامِ
فـــلا تغضـــبْ ، جَفَـــوْتَ ومِـــنْ جَفـــاءٍ بنيـــتَ الـــديـــرَ يبـــدو كـــالحطـــامِ[4]

***

مـــن الإفـــرنـــجِ إن ضـــاقـــت قيـــودُ فقلبُـــك لا يحقِّـــقُ مـــا يـــريـــد
علـــى عتبـــاتِ غيـــرِ الله وجـــهٌ تَعفَّـــرَ لا يليـــق بـــه السجـــود[5]

***

لـــي الـــداريـــن إنـــي لا أريـــد وحسبـــي فهـــمُ مـــا روحٌ تفيـــدْ
فهبنـــي سجـــدتـــي فيهـــا احتـــراقـــي ومنهـــا الكـــون فـــي وجـــدٍ يميـــدْ[6]
أنـــا المكســـالُ مـــا تبغيـــهِ منِّـــي أهبَّـــتْ هبـــوةٌ لـــم تقتلِعنـــي[7]

---

(١) العير : الحمار . الطرف : الجواد الكريم .
(٢) الحبور : السرور . الترب : التراب .
(٣) الحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي لديه كالحكم العيني .
(٤) يطلق الدير على الدنيا في الشعر الصوفي . يقول شاعر فارسي ما ترجمته (كنت ملكاً ولي في الجنة العالية مستقر ، إلا أن آدم جاء بي إلى هذا الدير الخرب) .
(٥) تعفر الوجه : تمرغ في التراب .
(٦) يميد : يتحرك ويضطرب .
(٧) الهبوة : الغبرة وهي الغبار . والمقصود هنا الريح التي تحمل الغبار وتثيره .

رأيت ابني يصلي في صباحٍ مسائي فليقلْ بالصبحِ زِنّي[1]

***

على قومٍ إلهي فلتعنّي كراعي الضأنِ عالمُهُمْ بفنِّ[2]
رأتْ عيناي ما يقذي عيوناً ألا يا ليت أمِّي لمْ تلِدْني[3]

***

إلامَ بعينِ عتبكَ أنتَ تنظر وأصنامٌ لديك إلام تحضر
لأبناءِ الخليلِ رأيتَ دارا ونمرودُ يربُّهمُ ويكفر[4]

***

أيرجِعُ منْ نعيمي ما تَولَّى ومِنْ أرضِ الحِجازِ الريحُ ؟ كلاَّ
وهذا العمرُ يالهفي تقضَّى فهلاَّ عادَ من أحببتُ هلاَّ ؟

***

إذا ما جاء من ذا السرَّ يعرفْ بلحنِ القلبِ أسماعاً فشنِّفْ[5]
وروحَ القلبِ مَنْ أبقى ونقّى كليمٌ أو حكيمٌ وهو يعزف[6]

***

---

(١) يشير إلى ابنه المسمى (جاويد) . وزنّي : من زان يزين .
(٢) راعي الضان مضرب المثل في الجهل .
(٣) أقذى العين : أوقع فيها القذى . وهو ما تتأذى به من غبار أو نحوه
(٤) الخليل : سيدنا إبراهيم عليه السلام . يرب : يربي .
(٥) شنف في الأصل بمعنى جعل له شنفاً أي قرطاً ، وشنَّف كلامه : زيَّنه وحلاه وشنف السمع : زينه وأطربه .
(٦) يتردد في الشعر الصوفي ذكر العزف والغناء على أنهما رمز لنشوة العشق الإلهي . ويمكن القول إنّ الحسناء والصهباء والغناء تؤلف وحدة قلما نجد انفصاماً بين مقوماتها الثلاثة .

أرجّي لي فؤاداً قد توجعْ شكوتُ فمن شكاتي سوفَ يَسمعْ
بزهرِ قانيء يزدان قبري عديم النطق دامي اللحن موجعْ[1]

* * *

أسيرُ القلبِ لا يفدي الأسيرا وليس يزيدُ من ألمٍ كثيرا
وينفخُ في الثرَى الأنفاس دوماً ورامَ الأكلَ أو سكنَ الحفيرا[2]

* * *

من الأضلاعِ لي قلبٌ يفرُّ تبقى صورةٌ معناهُ سرّ
طريدُ البابِ يفضلني كثيراً رآهُ اللهُ ، لي في السمعِ ذِكْر

* * *

نداءُ جبرئيل ليس يدري ففي طلبِ مقامٌ طيُّ سِرْ
وهَذَا عبدُك المسكينُ سَلْهُ عنِ الآمالِ في حلوٍ ومُرْ
صفاتٌ هبْ لخسرو أو لرومي وَجُدْ لي من سنائي بالمروم[3]

---

(١) القانيء : الشديد الحمرة .

(٢) دوماً : دائماً . الحفير : القبر .

(٣) خسرو : هو أمير خسرو دهلوي المتوفى عام ٧٠٥ هجرية . شاعر عظيم من شعراء الفارسية في الهند . وله شعر صوفي يتميز بخصائص ليست لشعر غيره من شعراء الفارسية في تلك البلاد . وشعره كثير البديع . وقد نظر إليه الشعراء كمثال يحتذى ، كما أوجد أسلوباً عرف بالأسلوب الهندي .

والرومي هو جلال الدين الرومي أشهر وأكبر شعراء التصوف من الفرس ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤هـ لأب من خيرة العلماء والفضلاء ورحل به إلى الأناضول التي كانت تعرف آنئذ ببلاد الروم ولذلك عرف بالرومي . وقد تصدر للوعظ والإرشاد وعقد الأسباب بينه وبين المتصوفة وأشهر مؤلفاته كتاب المثنوي الذي استمد اسمه من نظمه على القافية المزدوجة . وهو يتضمن حكايات لها مغزى صوفي وآيات قرآنية وأحاديث نبوية فسرت وأولت ولكن لا علىّ ظاهرها ولا يداني هذا الكتاب غيره من كتب التصوف . وجلال الدين صاحب طريقة صوفية أساسها وحدة الوجود وقد أشاعها بين الترك في =

ألفتُ صفاتَ عبدٍ منذ دهرٍ ... فليس لكل هذا من لزوم
فقيرٌ عفَّ عنْ لبسِ المرقَّعْ ... لهذا منه جبريلٌ تَوجَّعْ
لدَينا أمةٌ أخرى لنَخْلِقْ ... بها كلًّا عنِ الدنيا لنَرفَعْ

* * *

وشعبٌ منه جهدٌ في التَّأنِّي ... ومِنْ إبَرٍ تَرَاه الشهدُ يُجْنَى
وذاكَ بعالمٍ مَنْ ليسَ يَرْضَى ... فتحت العالَمين الظَّهْر يُحْنَى

* * *

وقومٌ وحَّدُوا عِنْدَ ابتهالٍ ... أنارُوا الفجرَ مِنْ جوفِ الليالي
رأوا في الشمسِ صبحاً مستقراً ... فأبدتْ نهجَ نجمٍ منْ رِمَالِ[1]
لحفلٍ في الليالي كنتُ زينا ... نقَصْتُ وكنتُ بدراً ذاقَ أينَا[2]
وفي هذا التغافلِ كَمْ أفاضوا ... ولكني تركتُ الجمعَ وهْنَا[3]

= الأناضول ، واضطره هذا إلى محاولة النظم بالتركية ليفهم عنه سواد الناس . فكان ذلك سبباً في نشأة الشعر التركي العثماني . وكانت وفاته عام ٦٧٢ هجرية .
أما سنائي الغزنوي المتوفى عام ٥٤٥هـ . ففي ديوانه تتردد الشكوى ممن يأخذون بالقشور دون اللباب ويتمسكون بالظاهر دون الباطن ، كما يصرح بما آلت إليه حال القوم لتناسيهم أوامر الدين ونواهيه ، ويئن تألماً من جفاء الخلان وصروف الزمان . غير أن شهرته بشعره الصوفي ، ويعد أول شاعر صوفي بحق في إيران وأول من ضمن شعره مصطلحات التصوف .

(١) النهج : الطريق . وفي الأصل أن الشمس تزيح الرمال عن طريق المجرة وهي نجوم تسمى الطريق اللبنية في الإنجليزية وحاملة التبن أو ناثرته في الفارسية ، وتسمى في الريف سكة التبانة لأنها تشبه طريقاً تناثر فيه التبن ، وانعكس عليه نور القمر بعد أن مر به التبان الذي يحمله .

(٢) الزين : الزينة . الأين : التعب يشبه نفسه بالقمر ، وكأنه ينقص من هزال يصيبه لطول سيره في السماء .

(٣) الوهن : نصف الليل .

كهـذا العصـرِ عصـراً مـا رَأيْنَـا حـزيـنُ القلـبِ جبـريـلٌ عَلينَـا
هُنَـا قَـدْ شيَّـدوا ديـراً عجيبـاً يـزيـد لمـؤمـنٍ كُفْـرٌ لـدينـا !

* * *

أرَى دنيـاكَ فـي أيـدِي اللئـام ولِـلأحـرَارِ فـي أسـرِ مُقَـام
فَضيـلٌ بَيـنَ مَـنْ فَقِهُـوا أمـوراً يعيـشُ كمثـلِ نسـرٍ لا الأنـام[1]

* * *

مـريـدٌ قـال عنـدَ الشيـخِ يـومـا إلهي لـمْ يحِـطْ بـالنـاسِ عِلْمَـا ؟!
كَمِثْـلِ العـرقِ فـي عنـقٍ قـريـبٍ وليـسَ كبطنِنَـا فـي القُـربِ حتْمـا

* * *

لأرضِ الهنـدِ حـالٌ بَعـدَ حـالْ وهـذا الكـونُ أمسـى فـي اختِـلَالْ
إلينـا كيـفَ تطلـبُ أن نصلـي بـرأسِ الجيـشِ عبـدٌ كـالمحَـال
ويَحْكـمُ مسلـمٌ فـالنفـسَ بـاعـا وآذانـاً وعينـاً قَـدْ أَطَـاعـا
وهَـتْ أجْسَـادُنَـا مِـنْ إصْـرِ حُكْـمٍ فـآدَ الشـرْعُ متنـاً والـذِّرَاعَـا[2]

* * *

إلهـي زِنْ لَنَـا خَيـراً وشـرًّا هـبِ الـدنيـا نعيمـاً مستمـرّا
وشـاهَـدْنـا خُلِقْنَـا مِـنْ تـرابٍ لنجعـل عـالـمَ الغبـراءِ نَضْـرَا[3]

* * *

خُلـودُ المـرءِ فـي الـدنيـا عَـرِفتـا وعـنْ مَـوْتِ الفجـاءةِ مـا سمعتَـا
ووقتُـكَ لـنْ تُعَـرِّضَـهُ لنقـصٍ أإن خلـدتَ قـالـوا قـد ضُـرِزْتـا ؟!

---

(١) الفضيل : ذو الفضل .
(٢) الإصر : الثقل . آد : أثقل . المتن : الظهر .
(٣) الغبراء : الأرض .

إنِ الـدنيـا دنـتْ مِـنْ منتهـاهـا أبـانَ الـدهـرُ أسـراراً طـواهـا[1]
فـلا تفضـحْ لـدى الـرحمـنِ أمـرِي حسـابـي صفحـةٌ مَـا إنْ رَآهـا !

* * *

بقيـتُ هنـا وَلـي روحٌ تسِيـر إلـى البطحـاءِ أشـواقـي تَطِيـر[2]
خـواصَّ القـومِ عـايشهـمْ ، تلبَّـثْ بشـوقِـي دارَ مَـنْ أهْـوى أزور[3]

* * *

(١) أبان : أظهر .
(٢) البطحاء : مكة المكرمة .
(٣) عايشهم : عش معهم . تلبث : ابق .

ہَوا ہے گو تُند و تیز لیکن چراغ اپنا جلا رہا ہے
وُہ مردِ درویش جس کو حق نے دیئے ہیں اندازِ خسروانہ

القسم الثاني

الرِّسَـــالَة

إلى الرسالة

تحت السماء مقام أرق من العرش يستلزم الأدب

ذلك المقام الذى يحضر إليه جنيد وبايزيد تائهى الأنفاس[1]

عزت بخارى[2]

.....

(١) جنيد وبايزيد من المتصوفة المشهورين ، توفى الجنيد البغدادى عام ٢٩٧هـ

أما بايزيد فهو أبو يزيد البسطامى

المتوفى عام ٢٦٠هـ ولهما تراجم كثيرة فى كتب التصوف مثل حلية الأولياء طبقات الصوفية ، مرآة الجنان .

تذكرة الأولياء ، الرسالة القشيرية .

(٢) شاعر ايرانى .

تمهـــلْ لا تُقِـــمْ تلـــكَ الخيـــامـــا دليلُ الـركـبِ فـي البيـداءِ هـامَـا[1]
وهـــذَا العقـــلُ نعـــدمـــه دليـــلاً لـــذا أسلمـــتُ للقلـــبِ الـــزمـــامـا

* * *

ســـويـــدائـــي بهـــا ألقيـــتُ نظـــره بحضنِ القلبِ فاستروحتُ فَتْره[2]
بـــريـــحٍ للمـــدينـــةِ ضقـــتُ ذرعـــاً لقلبـــي مـــن نسيـــمِ البيـــدِ خطـــره

* * *

ولـــي قلـــبٌ لمـــنْ كـــانَ الشهيـــدا هـــو الخفـــاقُ يـــألـــفُ أنْ يميـــدَا[3]
إلـــى الصحـــراءِ أحملـــهُ فيـــأســـى علـى شـطِّ الغـديـرِ بَكَـى وليـدَا[4]
ولا تســألْ عــنِ الــركــبِ السُّكـارى فمَـا يـــرْضَـــون تِلـــكَ الـــدَّارِ دَارَا
يهـــزُّ قُلُـــوبهـــمْ جَـــرَسٌ مـــدوٌّ نسيمـاً فـي ذُرَى القَصْبَـاءِ ثـارَا[5]

* * *

ليثـرِبَ كـــانَ فـــي كُبْـــرَى رَحِيلِـي وَبـــي فَـــرَحُ اللقـــاءِ مَـــعَ الخليـــلِ
كَـــأَنِّـــي الطيـــرَ قبـــلَ الليـــلِ يمضِـــي ويَبْغِي العشَّ في الرَّوْضِ الجميلِ

* * *

أَدَانـــوا عـــاشقـــاً رَشَـــفَ المـــدَامَـــا وَكَـــمْ لِمحنَّـــكٍ عَـــابُـــوا الكَـــلَامَـــا

---

(١) الركب : راكبو الإبل ، وفي الأصل القافلة . والبيداء : الصحراء . وهام : سار على غير هدى .
(٢) السويداء : حبة القلب . استروح : استراح .
(٣) يميد : يتحرك في اضطراب .
(٤) يأسى : يحزن . الغدير : النهر .
(٥) ذرى القصباء : أعالي القصب في منبته .

عَلَى نَغَمِ الحِجَازِ شَرِبْتُ كَأْسِي ... وَمَا إنْ قَدَّمُوا مِنْ قَبْلُ جَامَا[1]
أتَسْأَلُ عَنْ مَقَامَاتٍ لِلَحْنِي ... ومَاذَا يَعْرِفُ النَدْمَانُ عَنِّي[2]
لقَدْ أَلْقَيْتُ فِي الصَّحْرَاءِ رَحْلِي ... وَفِيهَا أخْتَلِي حَتَّى أُغَنِّي[3]

* * *

وَقُلْتُ لِنَاقَتِي بالرفقِ سِيرِي ... بشيخٍ فارْفِقِي دَنِفٍ حَسِيرِ[4]
وَسَارَتْ نَاقَتِي سَيْراً عنيفاً ... أتَخْطُو فِي الرِّمَالِ أمِ الحريرِ !

* * *

ويا جمّالُ عنها اطرح عقالاً ... لِرُوحِي رُوحُهَا كَانَتْ مِثَالاً
تَهَادَتْ مَوْجَةٌ أيْقَنْتُ مِنْهَا ... بِأَنَّ عَلَى الفؤادِ الأسرُ طَالاَ
تَرَقْرَقَ دَمْعُهَا سُودَ العيونِ ... ومِنْ زَفَرَاتِهَا كَانَتْ شُجُونِي
مُدَامٌ أُضْرِمَتْ فِي القَلْبِ نَارَا ... بِنَظْرَتِهَا كموجٍ يَحْتَوِينِي

* * *

وفي الصَّحْراءِ قَافِلَةً تَكُون ... وفي تودِيعِها خَفَقَتْ لُحُون[5]

---

(١) الجام : الكأس . ولأهل الحجاز منذ قديم شهرة بالميل إلى الغناء والمهارة فيه . وهذا يذكرنا بقول من قال :

رأيه في السماع رأي حجازي ... وفي الشراب رأي أهل العراق

(٢) المقام : من مصطلحات الموسيقا . وللمقام معنى آخر عند الصوفية ، فهم يتمثلون التصوف طريقاً يسلكه الصوفي أو (السالك) وفي هذا الطريق مراحل ومنازل يسمونها المقامات ، وينبغي أن يمر بها حتى يصل إلى الحقيقة أي الفناء في الله ويجد البقاء في الله . والندمان : النديم أو الندماء .

(٣) الرحل : ما تستصحبه من الأثاث .

(٤) الدنف : العليل . والحسير : المعيا والكليل .

(٥) كان هنا تامة . اللحون : الألحان .

أَلَا فَاسجُدْ عَلَى رَمْلٍ تَلظَّى عليه الوسمُ يَخْتَرِقُ الجبِينْ[1]

* * *

مَسَاءٌ مِثْلُ فَجْرٍ قَدْ تَبَسَّمْ تَمَطَّى صُبْحُهَا وَاللَّيلُ أَظْلَمْ[2]
تَمَهَّلْ إِنْ خَطَوْتَ عَلَى رمالٍ كقلبي كُلُّهَا قَلبٌ تَأَلَّمْ
أميرُ الركبِ مَنْ ذَا الأَعْجَمِيّ بغيرِ لِسَانِنَا لَحْنٌ شَجِيّ
يُغَنِّي وَالغنَاءُ لَهُ سَرَابٌ وفي الصحراءِ مِنْه القلبُ حَيّ

* * *

وَمِنْ عِشْقٍ وَمِنْ سُكْرٍ مُقَامُه وَفِي مَاءٍ وَفِي طِينٍ ضِرَامُه[3]
لَهُ الأَنْغَامُ تُطْرِبُ كُلَّ قلبٍ لَنَا قَلْبٌ بِفِلْذَتِه قِوَامُه[4]

* * *

خَفِيّ الحزنِ في صمتٍ تَراهُ لسانُ المرءِ في خُبْرٍ رَوَاهُ
طَرِيقٌ وَعْرَةٌ وَالنَّضْوُ فِيها بِلَا نُورٍ لِمْصبَاحٍ هَدَاه[5]
ربيعُ المرجِ مُحْمَرُّ الزهورِ أَقَامَ الصحبُ في كَنَفِ السرُورِ
أَتُوقُ إِلَى البَقَاءِ هُنَاكَ وَحْدِي وَفِي جَبَلٍ عَلَى شَطِّ الغدِيرِ[6]

* * *

---

(١) الوسم : أثر الكي .
(٢) يريد صبح الصحراء وليلها .
(٣) العشق والسكر هنا بالمعنى الصوفي .
(٤) الفلذة : القطعة وقوام الشيء نظامه وعماده .
(٥) النضو : المهزول الضعيف .
(٦) أتوق : أشتاق .

وأَقْـرَأُ تَـارَةً شِعْـرَ العِـرَاقِـي[1] وَأَحْيَـانـاً مِـنْ الجَـامِـي احتِـرَاقِـي[2]
أَبَيْـنَ لحـونِ أعـرابٍ ولحـنٍ لِحَـادي نـاقتـي بَعْـضُ اتفَـاقِ[3]

* * *

أَشُـبْ فَـرَحَـاً بـأحْـزَانِ الطـرِيـق وَكُـنْ مَجنُـونَـهُ غَيْـرَ المفيـقِ
طَـريقـاً طـالَ يـا حَـادِي لِتَسْلُـكْ وَآلامَ المفـارقِ مِـنْ حَـرِيـقِ[4]
أَنِيـسُ الـرُّوحِ بَـادِلْنِـي شَكَـاتِـي وَقُلْ مِثْلِي « بذي حسنٍ مَمَاتِي »
« لِنَمْسَحْ مَوْضِعَ القدَمينِ » فَاهْمِسْ « بِـأَجْفَـانِ رِقَـاقٍ دَامِعَـاتِ »

* * *

لَقَـدْ غَضُّـوا وغَضُّـوا مِـنْ حَكِيـم جَهُـولٍ كَـانَ ذَا الفَضْـلِ العَمِيـم[5]
وَنَحْـنُ اليـومَ فِـي عَصْـرٍ سَعِيـد لَـدَى السلطـانِ دَرْويـش عَظِيـم

* * *

بِصَـدْرِي هَـذِه الـدنْيَـا وَعَيْـت بِـرَأْسِي « لا مَكَـانـاً » قَـدْ حَـوَيْـت
وَلَمَّـا جُـزْتُ فِـي العَلْيَـاءِ سَقْفـاً جَنَـاحي كـلَّ فـي أَرْضِـي هَـوَيْـت

---

(١) هو فخر الدين العراقي المتوفى عام ٦٨٨ هجرية من شعراء التصوف في إيران . وشعره رقيق أنيق يموج بالعشق الإلهي ، وقد رحل إلى الهند وأصبح من شيوخ الطريقة القلندرية التي تلزم أتباعها بالسياحة فساح في البلاد طولاً وعرضاً . ولما زار مصر وجد السبيل إلى سلطانها الذي أكرمه حق إكرامه وأمر بتنصيبه شيخاً لشيوخ مصر .

(٢) جامي : هو الشاعر الفارسي عبد الرحمن الجامي المتوفى عام ٨٩٨ هجرية ويعد من أعظم شعراء الفرس وآخر فطاحلهم من القدماء . والنزعة الصوفية غالبة على شعره ، وقد نظم قصة ليلى والمجنون وطوعها لمعاني التصوف ورموزه ، كما أن له عدة منظومات قصصية ضمنها شروحاً لأحكامه في رمزية وروحانية دقيقة .

(٣) الحادي : من يغني للإبل .

(٤) الحريق : النار . أشب : أمزج .

(٥) غضوا منه : حقروا من شأنه .

بِـــوَادِينَـــا خُلُـــودٌ للـــزمَـــانِ بِـلاَ صُـوَرٍ نَمَـتْ فِيـه المَعَـانِـي
حَكِيـــمٌ دَائِمـــاً آخـــى كَلِيمـــاً لِسَانٌ سَاكِتٌ عَنْ (لَنْ تَرَانِي)[1]

* * *

وَيُبْـدِي المسْلِـمُ المحبـوبُ فَقْـرَه يُصَعِّـدُ مِثْـلَ حَـرِّ النـارِ زَفْـرَه
شَكَـا مِنْـه الفـؤادُ وَلَيـسَ يَـدْرِي فَهَبْنَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ نَظْـرَه

* * *

عَـذَابَـكَ مِنْـهُ كَـمْ ذُقْـتَ العـذَابَـا بِـكَ الألْحَـانُ لِـي كَـانَـتْ عَـذَابَـا
حَـزِيـنٌ ، مَـا رَأَتْ عَيْنَـايَ يَـوْمـاً بـأرضِ الهنـدِ قَـطُّ لَـكَ الصِّحَـابَـا
لِعَبْـدِ الهنْـدِ لَيْـلٌ ضَـاعَ فَجْـرُه وَأَيْـنَ الشمـس بَـلْ قُـلْ أَيْـنَ بَـدْرُه
أَنَـا المِسكِيـنُ فَلْتَـرْفُـقْ بحَـالِـي أَمِثْلِـي مُسْلِـمٌ قَـدْ عِيـلَ صَبْـرُ[2] ؟

* * *

فَقِيـرٌ ضَـاقَ بِـالأَلَـم المقِيـم بـدينِ الحـقِ ذو الأصـلِ الكـريـمْ
إلهـــي كـــنْ لِمحـــزُونٍ مُعِينـــاً هـوى مـن صـرحِهِ العـالِي القـديـمْ

* * *

لسـانِـي كيـفَ يـروي عنـه شيًّـا وتعلـم مـا بـدا بـل والخفيـا

---

(١) أراد إقبال قوله تعالى سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
وقال جلال الدين الرومي في شعر له : إن الله خالق الوجود من العدم والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق . وتباينت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة وفي كتاب (في السماء) يقول إقبال :

(لـن تـرانـي) إنهـا المعنـى الـدقيـق ولتضـع فيـه فـذا البحـر العميـق

(٢) عيل صبره : نفد .

وما قاساه في دهر طويل ... طوى قلبي على الآلام طيا
جَرَى فلكٌ على غيرِ المَرَامِ ... شَكَاةَ الرَّكبِ مِنْ بَعْدِ المُقَام
أَفِي هَذَا كَلَامٌ ليتَ شِعري ... وَهَذَا الشعْبُ كانَ بِلاَ إِمَام

* * *

دِماءٌ فِيهِ تَخْلُو مِنْ لَهَاب ... ومَا زَرَع الأَزَاهِرَ في الخراب ؟![1]
خليّ الغمدِ . ما فِي الكَفِّ مَال ... وَهَذَا الرفُّ يَهْوى بِالكِتَاب[2]

* * *

بِظَاهِرِ ما يَرَاهُ القَلْبُ قَيَّد ... فمِنْ ذوقٍ ومِنْ شوقٍ تَجَرَّدْ[3]
صَفِيرَ الصَّقْرِ حَتْماً لَيْسَ يَدْرِي ... عَلَى طَنِّ البعوضةِ مَنْ تَعَوَّدْ
له بالقلبِ باباً مَا فَتَحْنَا ... وَذَاتاً فِي ثَرَاه ما رَأَيْنَا
وَلَا التَّكْبِير دَوَّى فِي ضَمِيرٍ ... وَمِنْهُ الذكْرَ قَطّ ما سمِعْنَا

* * *

يَقُدُّ الجيبَ مَقْطُوعَ الرَّجَاء ... لِمَاذَا قَدْ تَرَدَّى فِي البَلاء[4]
شبيهَ الموتِ ما يَلْقَى نَصِيباً ... إِذَا مَا كَفَّ عَبْدٌ عَنْ ثَنَاء

* * *

أَنِلْهُ الحقَّ ، مِسْكِينٌ أَسِير ... فَقِيرٌ وَهْوَ فِي قَلَقٍ يَثُور
وهذِي حَانَةٌ قَدْ أَوْصَدُوهَا ... لِيظْمَأَ وَالردَى كأسٌ تَدُور[5]
فَطَهِّرْ مَاءَهُ وَالطِينَ طَهِّرْ ... بِدُنْيَا مِنْهُ هَذَا القَلْبَ عَمِّرْ

---

(١) اللهاب : اشتعال النار
(٢) خلي الغمد : لا سيف في غمده .
(٣) الذوق في الاصطلاح : نور يلقيه الله في قلوب أوليائه يميزون به بين الحق والباطل .
(٤) يقد : يشق . الجيب : فتحة الثوب حول العنق . وتردى : وقع .
(٥) الحانة هنا بمعناها عند الصوفية .

تَمَـزَّقَ ذَيْلُـهُ وَالـرِيـحُ تُسْفِـي فَفِي مِصْبَاحِهِ المحْطُومِ فَكِّرْ[1]

* * *

عَـرُوسٌ هَـذِهِ الـدنْيَـا لِغَيْـرِهِ مَقَـامٌ لِلفَنَـا نَهْـجٌ لِسَيْـرِهِ
وَقَبْـلَ المـوْتِ آدَتْـهُ الخطَـايـا لَـهُ الملكَـانِ مِـنْ دَيْـرٍ بِقَبْـرِهِ[2]

* * *

أَفِـي عَيْنَيْـهِ نُـورٌ أوْ سُـرُورُ وَمَـا فِـي صَـدْرِهِ قَلْـبٌ صَبُـور
لهـذَا الشعـبِ كُـنْ رَبَّـي مُعِينَـاً قَضَى ، فَالرُّوحُ مَا فِيهَا حُضُور[3]
حَنِيـفٌ والـردَى مَـا لَيْـسَ يَـأْلَـفْ أَيَخْلَـعُ قَلْبَـه رُعْبـاً وَيَـأْنَـفْ ![4]
وَبَيْـنَ ضُلُـوعِـهِ مَـا كَـانَ قَلْـبٌ يَقْطَـعُ زَفْـرةً حَـرّى وَيَـأْسَـفْ !

* * *

وَحُكْـمُ الفـردِ شَـرٌّ لِـلأَنَـامْ فَمَـنْ مِـنْ شَـرِّه غيـر المضَـامْ
شَكَـاةَ القَلْـبِ للخِـلَّانِ فَـاسْمِـعْ إذا مـا شِئْـتَ تَحْقِيـقَ المَـرَامْ

* * *

رَكِينـاً كَـانَ جِسْـمُ المسْلِمِينَـا بِنَـاءٌ ظَـلَّ فـي آدٍ متينـا[5]
وإنْ نَظَـرُوا فَقَـدْ ظَهَـرُوا بِـذَاتٍ لَهُمْ فِي الخَفْقِ أَشْبَهَتِ الوتِينَا[6]

---

(١) تسفي : تحمل الغبار ، والمحطوم : المحطم .
(٢) آدته : أثقلته .
(٣) قضى : مات . والحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .
(٤) الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .
(٥) الركين : القوي . الآد : القوة .
(٦) الوتين : عرق في القلب .

خجـولٌ مُسْلِـم هَـانَـتْ شُـؤونُـه لَـهُ الخَـانْقَـاه فَقْـرٌ ، مَـاتَ دِينُـه[1]
بِـدُنْيَـانَـا فَقُـلْ مَـاذَا وَرِثْنَـا كَلِيـمٌ عَـنْ مُلُـوكٍ نَسْتَبِينُـه[2]

* * *

وَعَـنْ أَحْـوَالِـهِ لا تَسْـأَلَنِّـي فَقَـدْ سَـاءَتْ وَفِيهَـا حَـارَ ظَنِّـي
وَهَـذَا الطَيْـرُ بِـالثَّمَـرَاتِ يغْـذُو لَـهُ فِـي البِيـدِ نَقْـرٌ بِـالتَّعَنِّـي[3]

* * *

لِعَينَيْـهِ الحيـاة أَنـا فَـتَحْـت وَمَا فِي الأَمْسِ وَالغَدِ كَمْ شَرَحْت
كَشَفْـتُ الـروحَ أَسْـرَاراً فَهَـلاَّ بَـلاَغَـةَ يَعْـرُبٍ يَـوْمـاً مَنَحْـت
وَلَيْـسَ لِمُسْلِـمٍ جَيْـشٌ عَـرَمْـرَمْ بِـذَاتٍ مِـنْ مُلُـوكِ الأَرْضِ أَكْـرَمْ[4]
فَلَـوْ رَدُّوا إِلَيْـهِ اليـومَ حَقّـاً لَكَـانَ جَـلاَلُـه لا رَيْـبَ أَعْظَـمْ

* * *

أَسَـاطِيـرُ مَتَـاعِ الشيـخ حَقَّـا مِـنَ الأَوْهَـامِ أَقْـوَالاً تَلَقَّـى
لَـهُ الإِسْـلاَمُ بِـالـزُّنَّـارِ يَبْـدُو وَذَا حَـرَمٍ وَمِـنْ دَيْـرٍ تَبَقَّـى

* * *

وَعَـالَمُنَـا بِـإِلْحَـادٍ تَغَيَّـرْ وَأَنَّ الـروحَ مِـنْ جَسَـدٍ تَقَـرَّزْ

---

(١) خانقاه : كلمة فارسية الأصل بمعنى المبنى الذي يقيم فيه الصوفية . ويقال : إن الشاعر الفارسي أبا سعيد بن أبي الخير وهو من صوفية القرن الخامس الهجري هو مؤسس أول خانقاه في إيران . ومعلوم أن كل مدينة وكل ناحية في إيران كان بها خانقاه حين الغزو المغولي . وكانت كل خانقاه تابعة لشيخ أو لفرقة خاصة من فرق الصوفية . وقد تنافس المتنافسون من العظماء في بناء الخوانقات ووقف الأموال عليها .

(٢) الكليم : البساط وتأتي كذلك بمعنى الثوب الخلق . نستبينه : نعرفه ونميزه .

(٣) التعني : الشدة والصّعوبة .

(٤) الجيش العرمرم : الشديد .

بِفَقْـرٍ كُنْـت لِلصـدِّيـقِ تُعْطِـي أَنِـرْ روحـاً تَسَـامَـى أَوْ تَطَـوَّرْ[1]
لنَـا حَـرَمٌ فَمَـاذَا يَسْتَعِيـر ! بِـهِ صَنَـمٌ هُـوَ الشيـخُ الكَبِيـر
وَأَظْلَـمَ حَظُّنَـا نَحْـنُ الحيَـارَى وَمَـا فِـي القَلْـبِ لِـلآمَـالِ نُـور

* * *

فَقِيـرٌ رَكْعَـةً للهِ صَلَّـى طُغَـاةٌ أوْ بُغَـاةٌ مَـنْ أَذَلَّا
وَتِلْـكَ النـارُ إنْ خَمَـدَتْ بِصَـدْرٍ إِلَـى عَتَبَـاتِ مَـنْ ظَلَمُـوا تَـوَلَّـى[2]

* * *

---

(١) يضرب إقبال على قالب شعراء التصوف الذين ألفوا أن يتهكموا بالشيخ أو الزاهد . والشيخ عندهم رمز لغير المتصوف . وقد اتسعت شقة الخلاف بين المتصوفة والفقهاء ، ولا غرو فالمتصوفة يجنحون إلى التأويل والتمثيل والتخييل ويصدون عن الظاهر للغوص في أعماق الباطن . أما الفقهاء فوقافون عند حرفية النصوص لا يمعنون في الاجتهاد بالرأي . ولا يكاد يخلو شعر صوفي من هذا التهكم التقليدي بالزهاد والشيوخ . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ما ترجمته :
(امض عنا أيها الزاهد وكف الملام عن شاربي المدام ، فما منحونا سوى تلك التحفة يوم ألست) والإشارة في يوم ألست إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ والشاعر يريد ليقول إن الصوفية أتحفوا بعشق الذات الإلهية منذ أن عرفوا ربهم . الزنار : ما يشده النصراني على وسطه .
يريد الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان واسع الثراء غير أنه أنفق ماله على رسول الله ﷺ وفي سبيل الله . قالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر أنفق على النبي أربعين ألفاً . وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل ماله كله معه . وقال لها جدها أبو قحافة وقد ذهب بصره : إن أباها قد فجعها بماله فردت عليه بقولها إنه ترك خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً وضعتها في كوة البيت الذي كان أبوها يضع المال فيه ثم غطتها بثوب وقادت إليها جدها الضرير ووضعت يده عليها فقال : إنه أحسن بترك هذا وفيه الكفاية . وقد أرادت أسماء أن تسكن جدها وتوهمه بأن أباها ترك شيئاً ، ولم يترك لعياله أي شيء .

(٢) تولى : مضى وأدبر .

يُعَادِي المسْلِمُونَ الأَقْرَبِينَا ... وَظَلُّوا فِي شِقَاقٍ رَاغِبِينَا
تَدَاعَى مَسْجِدٌ يَوْماً لِيَأْسُوا ... وَكَانُوا مِنْهُ دَوْمَاً هَارِبِينَا ![1]
لِغَيْرِ اللهِ عَفَّرْنَا الجبِينَا ... وَكُنَّا كَالمجُوسِ مُهَلِّلِينَا
فَأَنْفُسَنَا شَكَوْنَا لا سِوَانَا ... لِمِثْلِ عُلاَكَ لَسْنَا لاَئِقِينَا

* * *

خَلَتْ مِنْ رَاحِهَا كَأْسُ النُّدَامَى ... إِلاَمَ الصَّمْتُ لِلْسَاقِي إِلاَمَا
عَلَى الزَّفَرَاتِ مِنِّي القلبَ أَطْوِي ... دُخَاناً لِلسِّرَاجِ مَحَا الظَّلاَمَا[2]

* * *

لَدَى الصُّوفِيِّ دِنّ مَا رَوَاه ... وَيَطْوِي مَكْتَباً نَهْجاً طَوَاه[3]
أَغَادَرَ مَجْلِسَ الشعَرَاءِ كَرْهاً ... وَمَاتَ اللحنُ فِي نَايٍ حَوَاه
غَرِيبٌ ، مُسْلِمٌ ، عَنْ كُلِّ دَارٍ ... وَلِي دُنْيَا أَعَافُ ، مِنَ الغُبَار
وَهَذِي لَوْعَتِي مِنْ فَرْطِ عَجْزِي ... لِغَيْرِ اللهِ أَبْدَيْتُ اقتِدارِي

* * *

وَتَمنَحُنِي جَنَاحاً كَيْ أَطِيرَا ... وَأَلْحَانِي خَفَقْتُ بِهَا سَعِيرَا[4]
فَهَلْ مِنْ مُسْلِمٍ يَخْشَاهُ مَوْتٌ ؟ ... أَطَلْتُ ، وَمَا وَجَدْتُ ، أَنَا المسِيرَا

* * *

سَأَلْتُ اللهَ بِالدَّمْعِ السَّكُوب ... أَحَانَ لمسلمٍ رَفْعَ الكُرُوب ؟

---

(١) يأسى : يحزن . يعجب لمن يحزنهم ضياع حجر من مسجدهم وهم الذين لا يدخلون للصلاة فيه .

(٢) يشبه الزفرات بالدخان . والزفرة في الفارسية تسمى دخان القلب .

(٣) يصطنع إقبال طريقة الصوفية في التعبير ، غير أنه يخالفهم في التفكير ويتناول أعمالهم وأقوالهم بالتفنيد والتنديد . المكتب : المدرسة . والنهج : الطريق .

(٤) السعير : النار .

نِـدَاءٌ ظَـلَّ فِـي سَمْعِـي يُـدَوِّي ... « لَـهُ قَلْـبٌ وَأَقْفَـرَ مِـنْ حَبِيـب »
لِمَـاذَا أَذْكُـرُ المَـاضِـي المجِيـدَا ... فَهَـذَا الـذِّكْـرُ مَـا كَـان المفِيـدَا
بِصَـدْرِي قَـدْ حَـوَيْـتُ أَنَـا سِـرَاجَـاً ... وَفِـي قَـرْنَيْـنِ آنَسْـتُ الخمُـودَا[1]

* * *

وَيَحْـرُسُ كَعْبَـةً بنَّـاء ديـر ... يَقِيـنٌ مَـاتَ فِيـهِ رَنَـا لِغَيْـر[2]
وَتَقْصُـرُ نَظْـرَةٌ مِنْـهُ وَفِيهَـا ... تَجَلَّـى يـأْسُـهُ مِـنْ كُـلِّ خَيْـر

* * *

وَتَشْـرِيـدٌ وَنَـارٌ لِلْفَقِيـر ... مِـنَ الحـرْقَـاتِ هَـبْ نَـارَ الضَّمِير
وَفِيـهِ القَلْـبُ ثَبَـتْ أَوْ أَنِـرْهُ ... بـآمَـالِ اليقِيـنِ كَفَيْـضِ نُـور
وَلِـي مِـنْ نَشْـوَتِـي[3] قَـدٌّ تَـرَنَّـحْ ... بِـلاَ سَيْـفٍ دِمَـاءٌ كُنْـتُ أَسْفَـحْ
فَهَبْنِـي نَظْـرَةً وَارْأَفْ بِحَـالِـي ... فَلِـي عَصْـرٌ أُجَـاهِـدُهُ وَأَكْـدَحْ

* * *

لَقَـدْ آثَـرْتُ أَنْ أَشْكُـو وَحِيـدَا ... وَيَثْـرِبَ رُمْتُهَـا فَـاجْتَـزْتُ بِيـدَا
أَأَطْلُـبُ مَكْتَبِـي أَمْ هَـانَ شَـوْقِـي ... تَخَيَّـرْ ، حِيـرَتِـي تَـأْبَى المـزِيـدَا

* * *

أَطِيـرُ بِجَـوِّهِ هَـذَا المحَبَّـبْ ... وَمِـنْ غَيْـمِ جَنَـاحِـي قَـدْ تَـرَطَّـبْ
وَبَيْـتُ اللهِ أَحْـوِيـهِ بِقَلْبِـي ... أُغَنِّـي مَـا بِقَلْبِـي ثُـمَّ أَطْـرَبْ
أَقُـولُ السِّـرَّ مِـنْ مَـا قُلْـتُ يُفْهَـمْ ... وَمَـنْ مِـنْ دَوْحَتِـي الثمَـرَاتِ يَطْعَـم
أَمِيـرَ القَـوْمِ أَنْصِفْنِـي فَـإِنِّـي ... عُـرِفْـتُ بِشَـاعِـرٍ غَـزِلٍ تَـرَنَّـمْ

* * *

---

(١) آنس : رأى . والشاعر يشير إلى فساد حال القوم في القرنين الماضيين .
(٢) رنا : أدام النظر .
(٣) النشوة : السكر .

خِـلَافَ الشِّعْـرِ مَـا أَبْغِـي بِقـولـي ... وَحُلَّـتْ عُقْـدَةُ المعنَـى بِحَلِّـي
وَأُكْسِيـراً لِعِشْـقٍ مَـا أُرَجِّـي ... فَـدِرْهَـم مُفْلِسٍ ذَهَـب بِصَقْلِي[1]

***

حَيَـاةُ الخلـدِ عَنهـا قلـتُ خَبِّـرْ ... وَمـنْ مَـاتـوا حـديـثَ الـروحِ ذَكِّـرْ
وقـومٌ يجحـدونَ الحـقَّ قـالـوا ... بمـوتِهِمـا إذا مَـا شِئـتَ بَشِّـرْ
جَبِينـي مِـنْ أَسَـى كـالـزَّعْفَـران ... جَـرَتْ عينِـي بمثـلِ الأُرجُـوانِ[2]
وحَـالِـي أَنْـتَ تَعْلَـمُ رَغْـمَ صَمْتِـي ... فَهـذِي عُقْـدةٌ لـي فـي لِسَـانِـي

***

غَـرِيـبٌ ، لـي لسـانٌ وَهـوَ نَظْـرَه ... وَذُو أَلَـمٍ تُكَلِّمُـه بعَبْـرَه
فمِـي أوصَـدتُ ، بـالعينيـنِ أرْنُـو ... فَشَـرْعِـي لا يجيـزُ القـولَ مَـرَّه

***

مَنَحْـتُ الـذَّات مـن ذاتـي غـريبـا ... وَزَمْـزَمَ بيـنَ صَلْصَـالٍ قَلِيبَـا[3]
فَهَبْنِـي زَفْـرَةً حَـرَّى ومِنْهَـا ... سَـأَصْلَـى كـلَّ بَلْبَـالٍ لَهِيبَـا[4]
زَفِيـرٌ ليـس فـي قلبـي سِـوَاه ... ولـي أمـلٌ ونبعُـكَ مـا رَوَاه
لمـنْ أَشكُـو غمـوماً فـي فـؤادي ... علـى مـن غيـر ذاتـكَ مـا طَـواه

***

غـريـبٌ شجـوَه بـالنـاي أبـدى ... ونـارُ اللحـنِ منهـا ذابَ وجْـدَا
أتعلـمُ مـا يقـول ومـا تمنَّـى ... يـرومُ القلـب[5] عـنْ دارين صـدَّا

---

(١) الأكسير : ما كان يلقيه الأقدمون على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .
(٢) الأرجوان : اللون الأحمر .
(٣) القليب : البئر .
(٤) البلبال : الهم .
(٥) يرومُ القلب : يُرِيْدُ .

وما زهراً ولا قَطْراً أريد ... لتلك الريحِ ، شمسكَ كم تجود
وتعلو نظرتي عن كلِّ نجمٍ ... ورأيي لا أبدِّله سديد
ببحرٍ شَطُّه لم أدرِ بُعْده ... دليلُ العاشقين القلبُ وحدَه
إلى البطحاءِ تأمرُنا بسَيْر ... وإلَّا كنتَ ما وقفت عنده[1]

* * *

أتطردُ منْ يتوقُ إلى الحضور ... أَلِمْت ولستُ أُعرَف بالصَّبور
بما أحببت مُرْ إلا بصبر ... عجزت أنا إليه عن المسير

* * *

دُمَى الإفرنجِ قلبٌ لي تعشَّق ... ومن نارٍ لأهل الدير أحرق[2]
لقد أصبحتُ عن نفسي غريبا ... فما أدْري وجوداً لي تحقَّق
بِحَانِ الغربِ عَاقَرْتُ الشَّرَابَا ... برُوحي قَدْ شَرَيتُ لي العذابَا[3]
وكمْ جَالستُ أهلَ الحسنِ لكِنْ ... بدَتْ نِيرَانهمْ ثَلْجاً مُذَابَا

* * *

فقيرٌ فلتحقِّقْ لي رَجَائِي ... هشيمي اجْعَلْه قَلباً في الفَضَاءِ[4]
سئِمْتُ الدرسَ يلقيهِ حكيمٌ ... فلي من نظرتي فيضُ الذَّكاءِ

* * *

---

(١) البطحاء : مكة المكرمة .

(٢) الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقوشة أو الصنم . وشعراء الفرس يشبهون الحسناء بالصنم في الحسن . والشاعر يشير من طرف آخر في تهكم وسخرية إلى التهافت على تقليد الغربيين .

(٣) عاقر الخمر : أدمنَ شربها . شريت : اشتريت .

(٤) الهشيم : ماتكسر من يابس النبات .

أنَـا الصـوفـي والمـلاَّ أجَـافِـي ... وَتَعْلَـمُ مَـنْ أَكُـونُ بِـلاَ خِـلاَفِ[1]
عَلَى صفحاتِ قلبي « اللهَ » فاكتبْ ... لأشهِـدَهُ وذَاتـي بـالشِّغَـافِ[2]
فـيَّ قَلْـبٌ لمـلاَّ الغَـمُّ حَـلاَّ ... وهـلْ بـالـدمـعِ بـلّ العيـنَ بَـلاَّ
أولِّـي مـن مجـالِسِـه فِـرَاراً ... أزيـنُ حِجَـازه بـالبئـرِ ؟ كَـلاَّ

* * *

يقـولُ القـولَ نَصْـلاً للحـرابِ ... وَفِـي حِضْـنٍ لـه كـمْ مِـنْ كِتَـابِ
وتخجلني الصـراحـةُ فِـي كَـلاَمـي ... عن الذاتِ اختفىَ لا عنْ صِحَابِ[3]

* * *

أجـبْ بـاللهِ مـنْ ملـكَ القُلُـوبَـا ... ومَـنْ قَـدْ ألهـم الشـوقَ المـذِيبَـا
كِـلاَنَـا مَـنْ رَمَـى فـي الـديـن سَهْمَـاً ... فَقُـلْ فـي الـرمـي مـن كَـانَ المصيبَا
ولسْـتُ بمحْفَلـي غَيْـر الغـريـب ... لمنْ في مُشْكِلي شَكْوَى كُرُوبي ؟
ذُيُـوعَ السـرِّ بيـنَ القـومِ أخشـى ... شكـاتـي صنتُ عَـنْ قَلْبي الكَئِيبِ

* * *

وقلبـي لسـت أسلمـه لأيـدٍ ... أضيـق بعقـدتـي وأَحِـلُّ وَحْـدِي
إلـى غيـرِ الإلـهِ رفعـتُ عينـي ... لـذا مـن قمَّتـي كـان التـردِّي

* * *

---

(١) الملا : كلمة تركية مأخوذة عن العربية (مولى) . وهي بمعنى الشيخ والمعلم والقاضي . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقيه وغير الصوفي .

(٢) الشغاف : غلاف القلب أو حبته . وإقبال يجري على مألوف الصوفية من تجريح غير المتصوفة . غير أنه يريد ليجرح ضيقي الأفق من المسلمين المتزمتين الجامدين .

(٣) يعبر إقبال عن نزعته الفكرية التحررية ورغبته في فهم الدين حق الفهم بنجوة عما لا يقره الدين من جمود على الأساطير والأوهام ، ويبالغ في وصف من نظروا في أحكام الدين بلا عقلٍ ولا روح . والمبالغة تفهم على أنها مبالغة إلا أنها تؤكد المعنى وتؤيد الغرض .

بِـرُّ أُمِّـي جَمـرةٌ هـذا الجنـون ... بِصَـدْري فـورةٌ هَـذَا الفتُـون[1]
ومِـنْ أمـواجِ طُـوفَـانٍ تَقَضَّـى ... بـروحي الموجُ يجفُوهُ السُّكُون[2]
لِهَـذَا التـربِ مـا زَالَ الشـرَار ... لهـذا الصـدْرِ زفْـرُ الفجـرِ نَـار
بمـا أهـديـت مـن نـورِ التجَلِّـي ... علـى نظـرٍ لعينـيَّ اقتِـدَار

***

أُشـاهـد غيـر أنِّـي لسـتُ أرغـبْ ... وبيـنَ جـوانحِـي قلـبٌ تَلهَّـب
وهـذَا العصْـرُ مِـنْ رَوحٍ تَخَلَّـى ... فقـلْ مـا السِّـرُّ أو مثلـي تَعَجَّـب[3]

***

وفـي عصـرٍ بـلاَ لهـبٍ خُلِقْـتُ ... تُـرابـي فيـه مـا يهفـو مُنِخْـتُ
وفـي عنُقِـي حيـاتِـي مِثْـلُ حَبْـلٍ ... علـى عـودٍ كـأنِّـي قَـدْ صُلِبْـتُ
ومـا للـزَّهـرِ أَلْـوانِـي ورِيحـي ... يضيـقُ الصـدْرُ بـالأملِ الجـرِيـحِ
ومَـا وَسِـعَ الكـلامُ أَسَـى خَفِيّـاً ... لمـنْ أشْكـو بقـولٍ لـي صَـرِيـحِ

***

وَفـي شـرقٍ وفـي غـربٍ غـريـبُ ... فُـؤَادِي لا يُـوَاسِيـه الحَبِيـبُ
همُـومُ القلـبِ أشكـوهـا لِقَلْبـي ... فكَـانَ لِغُـرْبَتِـي خَـدْعٌ عَجِيـبُ

***

لِعِلْـمِ اليـومِ أبْطَلـتُ الطِّلَسْمَـا[4] ... حَطَمْـتُ حَبَـائِـلاً بِـالحُـبِّ حَطْمَـا

---

(١) الجنون عند المتصوفة هو جذبة العشق الإلهي .
(٢) تقضى : مضى وانتهى .
(٣) تخلى منه وعنه : تركه .
(٤) الطِّلسمْ والطِّلَّسَمْ ، ج : طلاسم وطلسمات ، يونانية معرَّبة : خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو ضرب من السحر .

وإبْـرَاهيـمَ مَـنْ أشْبَهْـتُ حقـاً ... فَمَـا كَـانَـتْ لَـدَيَّ النـارُ هَمَّـا
حَبَـوتُ العيـنَ بـالبصَـرِ البَصِيـر ... وَقَـوْلَـهُ « لا إلَـه » كَفَيـضِ نُـور
وفَجْـراً فَلْتَهَـبْ مِـنْ « مَـنْ رَآنِـي » ... فَلَيلـي مِنْـكَ ذُو البـدْرِ المنيـرِ[1]

* * *

وَفِـي يَـوْمٍ جَـذَبْـتُ إلَـى ذَاتِـي ... بِـأَنْـوارِ مَقَـامـي مُشْـرِقَـاتِ
بِهَـذَا الـدَّيْـرِ مِـنْ نَغَمـاتِ فَجْـرٍ ... خَلَقْتُ دُنَى القلـوبِ الـوَالهـاتِ[2]

* * *

بِعَـالَمِنَـا جِنَـانٌ عَـالِيَـاتُ ... لـدوحتهـا دمـوعـي الجـارِيَـاتُ[3]
سكُـونٌ كَـانَ حَتَـى اليـومَ فِيهَـا ... فَـأَيَّـامٌ لآدَمَ آتِيَـاتُ
ألَا هَبْهَـا فَتـىً يَخْتَـالُ فِيهَـا ... هَـوَاهُ الكَـأسُ دَارَتْ يحتَسِيهَـا
تَـرَاهُ مِثْـلَ حَيْـدَرَ فِـي قِـوَاه ... مُنَـى الـدارَيْـنِ مَـا إنْ يَشْتَهِيهَـا[4]

* * *

أَدِرْ يَـا صَـاحِ كَـاسَـاتِ النُّـدَامـى ... وَزِدْ فِـي نَـايِ أَلْحَـانِـي ضِـرَامَـا[5]
وَهَـذَا القلْـبُ رُدَّ إلَـى ضُلُـوعِـي ... لأَفْضِـلَ كُـلَّ مَـنْ مَلَكُـوا ، مَقَـامَـا

* * *

وَمِـنْ عِشْـقٍ لَنَـا الـدنيَـا بِصَـدْرِكْ ... وتَفْـرَح فَـرْحَـةً نَشْـوَى بِصَـدْرِكْ
فمِـنْ جِبْـرِيـلَ ؟ إنِّـي لَسْـتُ أَدْرِي ... أَأَبْـدَتْ جَـوْهَـراً مِـرْآة صَـدْرِكْ

---

(١) إشارة إلى القول الذي جاء فيه (من رآني فقد رأى الله) كذا في الأصل .
(٢) الدنى : جمع دنيا .
(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة .
(٤) حيدر : هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
(٥) أدار الكأس : طاف بها على الشاربين .

فُـؤَادِي لَـمْ يُمِـقْ أحـداً بمعبـد مُقَـامي أَيْـنَ ؟ كُنْتُ بِـه المقيَّد[1]
إِلَـهٌ يبْتَغِـي مِنِّـي سُجُـوداً ! لَقَـدْ حَطَّمْتُـهُ وَهُـوَ المبـدَّدْ

***

وَهَـذِي زَهْـرَةٌ نَبَتَـتْ بِتُـرْبِـي بَـدَتْ فِـي حمـرةٍ مـنْ ذوبِ قلْبـي
تَقَبَّلْهَـا ، بِهَـذَا القلـبِ رفقـاً فَلِي قلبٌ ، وَهَذَا القلبُ حَسبِي[2]

***

لِهَـذَا الشعـبِ إنِّـي قـدْ خَفَقْـت ولحنِي النـارَ فـي رُوحِـي خَلَقْـت
وَجيـزُ القـولِ خَيـرُ القـولِ قَـالُـوا خَفَقْتُ ، خُلِقْتُ ، لَكنِّي استَرحْت
بِفطـرةِ مـنْ تمجَّـن رمـتُ صِـدْقـا وتحـرِقُ زَفْـرَتِـي الأرواحَ حَـرْقَـا[3]
سَحَـابـاً للـربيـعِ فهـبْ تـرابِـي وَفيـهِ الحَـبُّ أنثـرهُ ليبقَـى

***

بكَفِّي القلـبُ ، مـالـي مـن حبيـبِ متاعٌ لِي ، فَمَنْ لصّ الدُّرُوب ؟[4]
وَهَـذَا الصَّـدْرُ فلتسكنْـهُ دَارَاً وَحيـدٌ ، لا أشبّـه بـالغـرِيـب

***

ببيـتِ اللهِ كـالـرومِـي أَذَانِـي فسِـرُّ الـروحِ أوضـحُ والمعَـانِـي[5]
طَـوَاهُ بفتنـةٍ عصـرٌ قـديـمٌ وَلكِـنْ لِـي الجديـد مـنَ الـزمـانِ
لـكَ البستـانُ أنبـتْ مـن تُـرابِـي ولـوّنـه بـدمْعِـي فـي انسِكـابِ

---

(١) ومق : أحب .
(٢) حسبي : كفايتي .
(٣) تمجن : تكلف المجانة وهي عدم المبالاة بالأعمال والأقوال .
(٤) الدروب : جمع درب وهو الطريق .
(٥) الرومي : هو جلال الدين الرومي .

وما أمَلْتُ سيفَ أَبِي ترابِ فهبْ عيناً كسيفِ أبي تُرابِ[1]

* * *

على شطٍّ يطولُ به الوقُوف فعنْ عملٍ وعنْ أملٍ عَزُوفُ[2]
لمنْ غيري أنا المسكينُ حقاً على أسرارهِ كانَ الوقُوفُ

* * *

ومنْ مناهُ للمحبوبِ عِطْرَا وهذاكَ الربيعُ يرفُّ زَهْرَا[3]
تَنَاسَى قَوْلَةً قيلتْ فمنذَا على قَصْبائِه بالنَّارِ مَرّا
غديري هَبْه دُرّاً مِنْ بِحَارِكْ مَتَاعِي ضَعْ بطودِكَ أوْ قِفَارِكْ[4]
بطُوفَانٍ فَمَا فتحتُ قَلْبِي فَهَبْنِي غيرهُ طوعاً وبارِكْ

* * *

أثرتُ الوَجْدَ فِي نَايِي ، تأمَّلْ بنارِي ذبتُ مُخْتَلِياً ، تَأَمَّلْ
عرفتُ الفقرَ عَنْ سَلَفِي قَدِيماً عنِ السلطانِ إحجامِي ، تأَمَّلْ

* * *

---

(١) أبو تراب : كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد أطلقها عليه النبي ﷺ . والخبر في هذا أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فأتى ﷺ فاطمة وسألها أين ابن عمك ؟ قالت : إنه مضطجع في المسجد . فمضى النبي إليه فوجد رداءه ساقطاً عن ظهره ، فجعل يمسح عنه التراب ويقول اجلس أبا تراب . وفي رواية أخرى أن علياً وعمار بن ياسر كانا رفيقين في غزاة ذي العشيرة ونزلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأقام بها . وجعل علي وعمار ينظران إلى من يعملون في نخل هناك ثم أخذتهما سنة وتتربا وجاء النبي فحرك علياً وقال له يا أبا تراب حين رأى عليه التراب . وكان يطيب له كرم الله وجهة أن يدعى بأبي تراب .

(٢) عزف عن الشيء : أعرض عنه .

(٣) رف الزهر : تلألأ نضرة .

(٤) الطود : الجبل . القفار : الصحارى .

ى ما كانَ منْ حَالي أَعِنِّي ... كشفتُ اللبسَ عنْ مَعْنَى بفنِّي
المحبوبِ تسألُ كيفَ حالِي ... يُوافِي مَرَّةً ويغيبُ عَنِّي
ذْ شَاركتُ في وجدٍ ورَوْدَا ... ضميرَ العيشِ أفتحهُ وَئِيدَا[1]
نْ لَقَّنْتَ شَوقِي ليتَ شِعْرِي ؟ ... أغَنِّي ما أَغنِّيهِ وَحِيدَا

* * *

ورِكَ كنتُ أفتحُ مُقْلَتَيَّا ... وَقَدْ شَاهدتُ أعماقَ الثرَيَّا
ي مسلمٌ يَالَهْفَ نَفْسي ... فَمُشْكِلُ (لا) أَرَى صعباً عليَّا[2]

* * *

ضِكَ حرقةُ الألحانِ حسْبِي ... وبدءٌ وانتهاءٌ منكَ ، حَسْبِي
يِّي قلتُ منتَشِياً بِوَجْدِي ... رَسُولُ الله يا رحمنُ ، حَسْبِي
نَ الأشواقِ ثَائِرتِي لتنظرْ ... فَلِلأَنْهَارِ مِنْ حَجَرٍ تَفَجَّرْ
تَ ابني بعشْقِكَ في دوامٍ ... يُزَيَّن بالتلوُّنِ والتعَطُّر

* * *

ى الإفْرَنْجِ[3] فلْتَشْهَدْه حِينَا ... بَدَا قَمَراً لعينِ الناظِرِينَا
نَا ساذجٌ من فَرْطِ ظُرْفٍ ... وَقَاهُ اللهُ عَيْنَ الكَافِرِينَا

* * *

كَ مُدَّهَا للعَاثِرِينَا ... وَمَنْ لسواكَ كَانُوا نَاظِرِينَا
نْ نَارٍ أضْرِمُهَا بِرُوحِي ... نَصِيباً هَبْ جَمِيعَ المسْلِمِينَا
كَ الرَّاحَ مِنْ كأسِ الحَبِيبْ ... لِتَسْكُنْ دَائِماً قَلْبَ الحَبِيبْ

وئيداً : على مهل .
في الأصل (لا إله) .
الإفرنج والإفرنجة والفرنج : اسم لسكان أوربة كلها ماعدا الأروام والأتراك .

أَيَـا هَـذَا (المليـك) أَذَا سُجُـود ! لتكنِـسَ مُقْلَتِـي دَارَ الحَبِيـبْ[1]

* * *

لـكَ السلْطـانُ لَكِنِّـي فَقِيـرُ لأَرضِ الـروحِ والمعْنَـى أَمِيـرُ[2]
وَدُنْيَـا « لا إِلَـه » بَـدَتْ تَـأَمَّـلْ حَـوَاهَـا كُلَّهَـا مِنِّـي ضَمِيـرُ

* * *

دَوَاءٌ لَيْـسَ يَنْجَـعُ فِـي سَقَـامِـي فَـإِنِّي الشيخُ قَـدْ وَهَنَتْ عِظَـامِي
أَلَا يُلْقُـونَنِـي عَنهـم بَعيـداً أَلَسْـتُ لِـدِينِهِـمْ أَحَـدَ السِّهَـامِ !
تَعَـالَ وَفِـي اعْتِنَـاقٍ نَحْـنُ نَـرْقُـصْ وَدُنْيَـانَـا نُجَـافِيهَـا ، وَنَـرْقُـصْ[3]
وَعِنْـدَ دِيَـارِ مَـنْ نَهْـوَى تَـوَقَّـفْ دِمَـاءَ العيـنِ نَـذْرِفُهَـا ، وَنَـرْقُـصْ

* * *

---

(١) في الأصل اسم أحد الملوك .

(٢) يتردد ذكر الفقر والفقير كثيراً في هذا من شعر إقبال . والفقر من مقامات التصوف . ويعرف بأنه ليس فقدان الشيء بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه . وشعار الصوفية (الفقر فخري) وقال بعضهم : إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، ويرى إقبال أن الفقر خلاص النفس من الطمع وتعففها عن ذل الحرمان . وهذا ما يكفل لها أن تعمل وتقدم منطلقة من كل قيد . وفي كتابه جاويدنامه الذي ترجمناه بعنوان (في السماء) يبذل النصح لولده قائلاً :

إن رأسـت القـوم أو صـرت الغنيـا فعلـى الفقـر احْـرصـن يـا بنيـا

(٣) يتلو إقبال تلو المتصوفة من أتباع جلال الدين الرومي الذين كانوا يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . ففي رأيهم أن الرقص ينتزع نفوسهم من عالم الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي . كما يثير الطرب والخوف عند التائبين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي ما ترجمته :

(إذا ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين فما أمواج البحر إلا البحر نفسه ولكن في ارتفاع وانخفاض . والموج بعد هبوطه إلى البحر يؤوب . وما مثل البحر إلا مثل بني الإنسان لأنهم أمواج الله وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .

ـرَاءِ لَـكَ اخْتَـرْتَ المقَـامَـا ... ويشْبِـهُ لَيْلَهَـا الصبْـحَ ابْتِسَـامَـا
أَيَّ البقَـاعِ خِيَـامَـكَ انْصُـبْ ... وَكَـانَ الحبْـلُ مِـنْ أَحَـدٍ حَـرَامَـا[1]

* * *

ضِ تَحْتَـوِينَـا اليـومَ ضِقْنَـا ... وَمِـنْ كِـلِّ السمَـواتِ انطَلَقْنَـا
ـمْ سَجْـدَةً قَـدْ عَلَّمُـونَـا ... وَكُنْـهَ الحَـاكِمِيـنَ بِهَـا عَـرَفْنَـا
الإِفْـرَنْـجِ فَلْتَكُـنِ البَعِيـدَا ... لَقَـدْ كَـذَبُـوا وَإِن بَـذَلُـوا وُعُـودَا
لنظـرَاتُ خُـذْهَـا عَـنْ« مَلِيـكٍ » ... وَشَكِّـلْ عَـالَمـاً حُـرّاً جَـدِيـدَا[2]

* * *

قول : إن اقتراض حبل الخيمة من أحد حرام .

ي الأصل اسم أحد الملوك .

عذابِ دانشِ حاضر سے باخبر ہوں میں
کہ میں اس آگ میں ڈالا گیا ہوں مثلِ خلیلؑ!

القسم الثالث

المُجْتَمَع

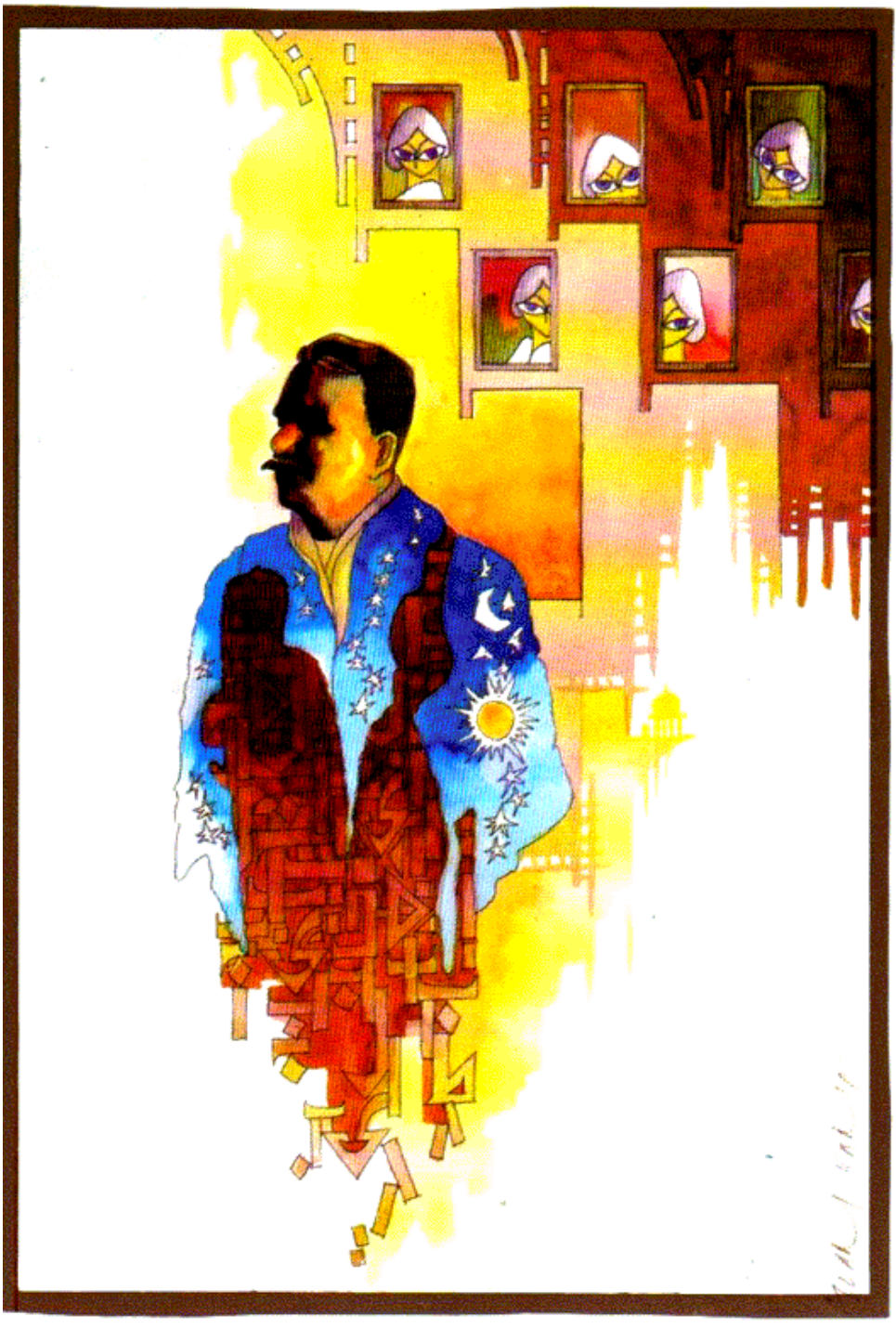

خوش آ گئی ہے جہاں کو قلندری میری
وگرنہ شعر مرا کیا ہے شاعری کیا ہے!

مْـتُ أَنَـا كَـلاَمَ العَـارِفِينَـا فَطَبْعِـي كَـانَ طَبْـعَ العَـاشِقِينَـا
ـعِ مِـنْ دمٍ فِـي الـرَّوضِ هَـذَا لِفَـرْطِ الـوجْـدِ أفعَمْـتُ العُيـونَـا[1]
كَ تشْبِـهُ القَمَـرَ الجَـدِيـدَا بِـأَوْجِ سَمَـاكَ حَـاوِلْ أَنْ تَـزِيـدَا
مُـو إِنْ وَهَبْـتَ اللهَ قلبَـاً طَـرِيـقَ المصْطَفى فَـاسْلُـكْ رَشِيـدَا

* * *

وتُ كَمَـوْجَـةٍ مِـنْ بَحْـرِ ذَاتِـي كَمَنْـتُ كَجَـوْهَـرٍ تَحْـتَ الصَّفَـاةِ[2]
انَـتْ غَضْبَـةُ النمْـرُودِ مِنِّـي أعمِّـرُ بَيْـتَ رَبِّـي فِـي حَيَـاتِـي

* * *

امِـكَ سَـاقِـي الجُـلاَّسِ أَقْبِـلْ على الدارَينِ هَذَا الذيْلَ أَسْبِلْ[3]
تَنَـا لَنَـا الخمِّيـرُ أبْـدَى لِمُلاَّ لا تَقُلْ « ذَا الدِّينُ فَاعْقِلْ »[4]
لَ عَـنِ الجبيـنِ اطـرحْ نِقَـابَـا فَـدَمْعِـي يَحْتَـوِي قَلْبِـي المـذَابَـا
ـنِ لَيْـسَ مِـنْ شَـرْقٍ وَغَـرْبِ لتعزفْ (لا تخفْ) تُطْرِبْ صِحَابَا[5]

* * *

نْ صَـدْرٍ لَـكَ التكْبِيـرَ صَعِّـدْ وَبِـالأُكْسِيـرِ تُـرْبُـكَ فَلْتُجَـدِّدْ
ـكَ فَـامْلِكَـنَّ تَعِـشْ سَعِيـدَاً لِنَفْسِـكَ هَـذِهِ الأَقْـدَارَ حَـدِّدْ

أفعم : ملأ .

الصفاة : الصخرة .

أسبل ذيله على الشيء : أهمله وتناساه .

الخمِّير : السكير . ويطلق على الصوفي الذي انتشى بالعشق الإلهي .

يشير إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ والخطاب من الله تعالى إلى موسى حين تفوق على السحرة وأبطل كيدهم .

بِتِلْكَ الذاتِ شَارَفْتَ الكَمَالَا ... وَإِلَّا كُنْتَ للعبدِ المِثَالَا
إِذَا مَا قُلْتَ ذَاتِي لِي مَتَاعٌ ... فَنِسْيَانٌ لَهَا لَيْسَ الحَلَالَا[1]
وَأَنْتَ الذاتُ يَوْماً إِنْ تُشَاهِدْ ... تَقِرُّ كَجَوْهَرٍ فِي البَحْرِ رَاقِدْ
وَتِلْكَ الذَّاتُ إِنْ غَرَّبْتَ عَنْهَا ... فَأَنْتَ لأَجْلِ هَلْكِكَ مَنْ تُجَاهِدْ

* * *

كَشَفْتَ السِّتْرَ عَنْ وَجْهِ المَصَائِرْ ... بِنَهْجِ المصْطَفَى سِرْ يَا مُسَافِرْ[2]
وَمِمَّا قُلْتَ إِنْ أَضْمَرْتَ شَكّاً ... فَمُتْ يَا مَنْ شَكَكْتَ وَأَنْتَ كَافِرْ

* * *

لِتُرْكٍ فَتَّحُوا مَا أَوْصَدُوه ... وَفِي مِصْرَ أَسَاسٌ وَطَّدُوْه
تَمَسَّكْ إِنْ ظَفِرْتَ بِذَيْلِ ذَاتٍ ... بِغَيْرِ الذَّاتِ ذَا لَمْ يَعْهَدُوه
إِذَا قَوْمٌ رَبِيعُهُمُ تَوَلَّى ... فَعِطْرُهُمُ التَّوَهُّمُ لَيْسَ إِلَّا
وَتُنْبِتُ أَرْضُهُمْ زَهْراً وَلَكِنْ ... تُشَاهِدُ لِلذُّبُولِ عَلَيْهِ ظِلَّا

* * *

وُلَاةُ الأَمْرِ مِنْ رَبِّي لِشَعْبٍ ... زِمَاماً يَمْلِكُونَ لِكُلِّ أَمْرِ
وَلَكِنْ لَا يُحِبُّ اللهَ شَعْباً ... بِهِ الفَلَّاحُ يَزْرَعُ كَيْ يُلَبِّي

* * *

مِنَ الرَّازِي كِتَابَ اللهِ فَافْهَمْ ... وَمِنْهُ النُّورُ خُذْ فَاللَّيْلُ أَظْلَمْ
وَلَكِنْ لِي كَلَامٌ فِيهِ فَانْظُرْ ... أَنَحْيَا بِالفُؤَادِ وَمَا تَضَرَّمْ[3] ؟

* * *

---

(١) يوجه الخطاب إلى المسلم .

(٢) النهج : الطريق . وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره ، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من الدنيا إلى الآخرة .

(٣) تضرَّم : احتدم غيظاً .

الذاتية

ـذَاتِـــكَ لَا إِلَـــه فَضُـــمَّ مَـــرَّه لِتَخْـرُجَ مِـنْ تُـرَابِ مَـاتَ نَظْـرَه
تَقْبِـضْ يَمِينَـك عَـنْ صُيُـودٍ لَـهُ القَمَـرَانِ فِـي وَهَـقٍ بجُـرَّه[1]

* * *

ـولٌ ، عِلْمُ هَذَا القَلْبِ ، فَاعْلَمْ طَرِيقَكَ مِثْلَ مَنْ سَبَقُوكَ ، فَاعْلَمْ
ـنَ مُـؤْمِـنٌ مِـنْ كَشْـفِ سِـرّ بِـلَا مَـوْجُـود إِلَّا الله ، فـاعلـم[2]

* * *

ـبِـكَ مَـا اختَفَـى هـذا اللهـاب مِـن الإسـلام مـا للنـور بـاب
ـريـق الـذات فـانضحهـا بمـاء لبحـر لا يـرى فيـه العبـاب[3]

* * *

---

(1) لإقبال فرط اهتمام بالذات أو الذاتية ويجعلها من أهم مقومات فلسفته ، فعنده أن الذاتية جوهر الحياة وأس نظامها وهي تستمد كيانها من تحديد الرغائب وتخليق الأماني . وهذا باعث على العمل في دوام . وينبغي للإنسان أن يعرف مواهبه الكامنة في فطرته ويعتمد على ذاته وحدها . وقوة الذات هي معنى الحياة والغاية منها وبها جمالها وجلالها . الصيود : الكثير الصيد . القمران : الشمس والقمر . الوهق : حبل يطرح في عنق الدابة لصيدها به .

(2) يلمح إقبال إلى وحدة الوجود وهي أنه لا وجود في هذا الكون إلا لله وكل ما فيه صورة منه ، وذلك كالماء الذي يتشكل في صور شتى كالندى والثلج والبرد وهو ماء واحد لا وجود لسواه .

(3) نضح بالماء : رش وبل . والعباب : الموج .

أنا الحق

ـا الحـقْ) ذِي مَقَـامِ الكِبْـرِيَـاءِ أَكَـانَ لَهَـا الصليـبُ مِـنَ الجَـزَاءِ ؟!
ـذَا جَـائِـزٌ فِـي رَأْيِ فَـرْدٍ وَيَبْطُـلُ عِنْـد قَـوْمٍ بِـالإِبَـاءِ[1]

* * *

ـتْ قَـوْلَـةً لَاقَـتْ بِشَعْـب يَجُـودُ دَمـاً لِغُصْـنٍ فِيـهِ رَطْـب
ـلَالٌ فِيـهِ قَـدْ أَخْفَـى جَمَـالاً تَجَلَّـى فِـي سَمَـوَاتٍ لِقَلْـب

* * *

ـنَ العَـالَمِيـنَ سَمَـا مَقَـامـا فَلِلـدَّارَيْـنِ قَـدْ كَـانَ الإِمَـامَـا
ـمْ يَمْسَسْـهُ فِـي خَلْـقٍ لُغُـوبٌ عَلَيْـهِ النَّـومَ يجعَلُـهُ حَـرَامَـا[2]
ـرُ القَلْـبِ تَشْهَـدُهُ العُيُـونُ وَدُنْيَـاهُ الهشِيـمُ وَكَـمْ يَهُـون
ـنُ بِهِمَّـةٍ مَعْنَـى أَنَـا الحـقْ وَتَـأْتِي بَعْـدَ كُـنْ دَوْمـاً يَكُـونُ[3]

* * *

ـاحٌ مِنْـهُ يَخْفِـق فِـي الفَضَـاء وَيَـرْمُـقُ عِشَّـهُ وَالعُـشُّ نَـاءِ

الحلاج : هو الحسين بن منصور ذلك الصوفي الذي ذاعت شهرته في الآفاق بشططه وغلوه في تصوفه ، وكان شديد الحرص على نشر تعاليمه بين سواد الناس وهو في ذلك يختلف عن الكثرة الكاثرة من شيوخ المتصوفه الذين كانوا يميلون إلى الكتمان والضن بعلمهم على غير أهله . وقد قال الحلاج بالاتحاد ولكن مع بقاء كل عنصر من عنصريه على حاله ، واتهم بالكفر لقوله (أنا الحق) وصلب عام ٣٠٩ هجرية . وقد أوردنا قوله بسكون القاف كما ينطق في الفارسية ، وفي رأي أن الحلاج حين قال (أنا الحق) كان مؤمناً بأن الله في قلب المؤمنين الذين يتخلقون بأخلاقه وبفضل من ذلك يصبح المؤمن (هو هو) .

اللغوب : التعب يقول إن رغبته في التخليق تحرم عليه أن ينام .

السعير : النار .

ـي وَهَـقٍ لَـهُ القَمَـرَانِ صَيْـدٌ وَطَـوْعُ يَمِينِـهِ كُـلُّ الـرجَـاءِ[1]

* * *

ـتَـانِ تَـرَاهُ العنْـدَلِيبَـا وَصَقْـراً كَـانَ فِـي مَـرْجٍ مَهِيبَـا
ـرٌ فِيـهِ قَـدْ يَبْـدُو فَقِيـرَاً فَقِيـرٌ مِـنْ غِنَـى نَـالَ النَّصِيبَـا
ـكَ الكَـأْسَ أُفْعِمُهَـا بِخَمْـرِ وَنُـورُكَ صُـبَّ فِـي جُحْـرٍ وَقَصْـرِ
ـلْ مِـنْ غُصْـنِ مَنْصُـورٍ ثِمَـارَاً وَقَلْبُـكَ فِيـه (إلا الله) تَسْـرِي[2]

* * *

الصوفيُّ والمُلَّا

ـوَ المـلَّا ، عَبُـوسٌ والكتَـاب وقِشْـرَاً لا يَمِيـزُ مِـنْ لُبَـاب
ـتِ اللهِ يَطْـرُدُنِـي لِـدِينِـي وَذَلِـكَ لَيْـسَ بِـالشَّـيءِ العُجَـابِ[3]

* * *

ـتِ اللهِ صَيَّـادٌ وَدَيْـرْ وَلِلصُّـوفِـيِّ لَـمْ يَـكُ أَيُّ ضَيْـرْ[4]
ـى المـلَّا قَصَصْـتُ الآنَ هَـذَا جَـوَابـاً لَـمْ يَجِـرْ وَدَعَـا بِخَيـرْ !
حَـدَّثَ وَاعِـظٌ لِـي عَـنْ جَهَنَّـمْ ومِنْـهُ كَـافِـرٌ فِـي القَـوْلِ أَحْـزَمْ
ـلَامٌ حَـالُـهُ مَـا إِنْ دَرَاهَـا وَقَـالَ « جَهَنَّـمُ لِسِـوَايَ فَـاعْلَـمْ »

* * *

---

1) الوهق : حبل يطرحه الصياد في عنق الدابة لصيدها .
2) منصور : الحلاج وفي الأصل (لا غالب إلا الله) .
3) يريد ليقول إن المتزمتين الجامدين لا يفقهون قوله ويتهمونه برقة الدين .
4) يريد الغربي . ويشير إلى الصوفي في تجادله وعجزه عن دفع عادية الأجانب ، كما يعيب على الشيخ رضاه بالأمر الواقع وعدم الوقوف في وجه المعتدين على حرمة الدين وكرامة المسلمين .

مـــريـــدٌ كَـــانَ ذَا رَأْيٍ سَـــدِيـــدِ لِشَيْـــخٍ فَـــاهَ بِـــالقَـــوْلِ الشَّـــدِيـــدِ
« وَجَنَى الـرِّزْقَ مَـوْتٌ ، مِـنْ تُـرَابِ تَكَـوَّمَ فَـوْقَ هَـاتِيـكَ اللحُـودِ »

* * *

لِشَيْـــخٍ كَـــانَ ذَا قَـــوْلُ الغُـــلَامِ « تَـأَمَّـلْ واستَمِـعْ لِـي بِـاهْتِمَـامِ
لِهَـــذَا العَصْـــرِ نَمْـــرُودٌ جَـدِيـدٌ فَمِنْـــهُ اخْلِـقْ خَلِيـلاً لِـلأَنَـامِ »
لِمـــلَّا أَوْ لِصُـــوفِـــيٍّ أَسِيـــرْ ! وَفِـــي القـــرآنِ لِلْعَيـــشِ الكَثِيـــرِ
مِـــنَ الآيـــاتِ مَـــا أَدْرَكْـــتَ شَيْئـــاً ومِنْ ﴿ ياسين ﴾ بُغْيَتُكَ الحَفِير[1] !

* * *

لَـكَ القُـرْآنُ كَـالمِـرْآةِ فَـانْصُـبْ وَنَفْسَـكَ دَعْ إِذَا غُيِّـرتَ وَاهْـرُبْ
لِمَـا قَـدَّمْـتَ مِيـزَانـاً لِتَصْنَـعْ وفِـي المـاضِـي قِيَـامَـاتٍ لِتَطْلُـبْ

* * *

عَلَـى الصُّـوفـيِّ وَالمـلَّا سَـلَامِـي كَـــلَامُ اللهِ قَـــالَا بِـــالتَّمَـــامِ
وَلَكِـــــنْ أَوَّلَا مَـــــا أَوَّلَاهُ فَحَـارَ الـروحُ بِـلْ خَيْـرُ الأَنَـامِ[2] !

* * *

جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيّ

تَـرَشَّـفْ يَـا نَـدِيـمَ الـرُّوحِ خَمْـرَا لَهَـا كَـأْسٌ تُسَـاوِي مُلْـكَ كِسْـرَى

---

(١) يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته البينات التي تهيب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدي إلى ما تصلح به الدنيا والدين ، وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لا هم له إلا سورة ﴿ يس ﴾ فقد جرت العادة بقراءتها في المقابر . والحفير : القبر .

(٢) الروح : سيدنا جبريلّ . وخير الأنام : هو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وإقبال لا يرتضي تفسير القرآن تفسيراً سطحياً .

ـرُومِـــيٍّ أَشْعَـــارٌ رِقَـــاقٌ فَلُـذْ بِحِمَـى فُـؤادِكَ حِيـنَ تَقْـرَا

* * *

ـي كَـاسَـاتِهَـا لَـوْنٌ تَـوَرَّدْ بِـهِ اليَـاقُـوتُ يُصْبِحُ كُـلَّ جَلْمَدْ[1]
ـبُ الأُسْـدِ تَمْنَحُـهُ غَـزَالاً وَمِنْهَـا الـوَسْـمُ عَـنْ نِمْـرٍ تَبَـدَّدْ

* * *

ـا سَـوْرة مِنْهَـا نَصِيبـي دُجَـايَ سَنَـا بِكَـوْكَبِهَـا العَجِيـبِ[2]
هِدْ فِي الحِمَى إِنْ شِئْتَ ظَبْياً بَـدَا فِي بَسْمَـةِ الأَسَـدِ الغَضُـوبِ[3]
ـبٌ حُبُّـهُ كَـانَ احْتِـرَاقِـي وَمِنْـهُ الـوَصْـلُ يَنْطِـقُ عَـنْ فِـرَاقِ
ـالُ العِشْـقِ مِـنْ نَـايٍ لَـدَيْـهِ تَـزيَّـن مِـنْ عَـلاَءٍ بِـائْتِـلاَقِ

* * *

ـي عُقَـدِي ، فَحَـلَّ بِمَـا يَشَـاء غُبَـارٌ فِـي طَـرِيقِـي الكِيمِيَـاء[4]
مَعَنِـي لَـه أَنْغَـامَ نَـايٍ فَفِـي سُكْـرِي وَفِـي عِشْقِـي رَجَـاء

* * *

ـا قَـدْ فَتَحُـوا بَـاباً لِقَلْبِـي كَمَـا خَلَقُـوا لَهُـمْ دُنْيَـا بِتُـرْبِـي[5]
ـنْ فَيْـضٍ لَـهُ نِلْـتَ اعتِبَـاراً فَبِـي مَـا حَقَّقُـوا مِـن صُنْـعِ شُهْـبِ
ـومَ الأُفْـقِ جَـالِـسْ بـالخَيَـالِ وَرَاءَ البَـدْرِ يَنْظُـرُ فِـي مَجَـالِ
ـدَّمَ قَلْبَـهُ الضَّـاوِي إِلَيْـه لَـهُ الأَنْفَـاسُ تَخْفِـقُ فِـي اتِّصَـالِ[6]

الجلمد : الحجر . والوسم : أثر الكي .
سورة الخمر : شدتها . الدجى : الظلام . السنا : الضوء .
الحمى : هنا حرم بيت الله .
الكيمياء : ما كان يضعه القدماء على المعادن لتحويلها إلى ذهب .
الترب : التراب .
الضاوي : المنهوك الضعيف .

عَنِ الرُّومِيِّ خُذْ سِرَّ الفَقِيرِ ... يُثِيرُ بِفَقْرِهِ حَدَّ الأَمِيرِ
وَفَقْرٌ ذَاكَ لكِنْ مِنْهُ فَاحْذَرْ ... مَقَاماً نِلْتَ يُدْنِي مِنْ حَفِيرِ[1]

* * *

وَعَنْ ذَاتِ إِلَهِي وَهُوَ نَاءٍ ... تَمُدّ الكَفَّ فِي طَلَبِ العَطَاءِ
وَلِلرُّومِيِّ عَيْنٌ حَقَّقَتْ لِي ... سُرُوراً مِنْ مَقَامِ الكِبْرِيَاءِ
رَحِيقٌ طَابَ مِنْ كَرْمِي تَدَفَّقْ ... وَيَسْعَدُ مَنْ بِذَيْلِي قَدْ تَعَلَّقْ[2]
نَصِيبِي كَانَ مِنْ لَهَبٍ قَدِيمَا ... سَنَائِي نَالَ وَالرُّومِيّ يُحْرَقْ

* * *

إلى مصر
رسالة الفاروق[1] (رضى الله عنه)

رِيَاحَ البِيدِ وَافِينِي وَسِيرِي ... عُبَابَ النِّيلِ فِي خَفْقِ أَثِيرِي[3]
وَأَدِّي القَوْلَ عَنْ عُمَرٍ فَقُولِي ... « كُنِ السلطانَ يُعْرَفُ بالفَقِيرِ »

* * *

وَمَا تِلْكَ الخِلَافَةُ غَيْرَ فَقْرٍ ... لَهُ تَاجٌ ، فَكَانَ دَوَام أَمْرِ
تَمَسَّكْ يَا فَتَى دَوْماً بِفَقْرٍ ... بِغَيْرِ الفَقْرِ مُلْكُكَ عِنْدَ قَبْرِ

* * *

---

(١) يتلاعب الشاعر بالكلمة الفارسية (سربز يرى) وتحمل معنيين : الطاعة والخضوع ، والنكس أي القلب على الرأس وجعل الأسفل الأعلى . فكأنه يريد ليقول : أن تلقي الفقر بالمعنى الصوفي المطلق يعرض للتهلكة . والحفير : القبر .

(٢) الرحيق : الخمر . والكرم : العنب .

(٣) العباب : الموج . وعنوان هذا القدر من الرباعيات في الأصل باسم أحد الملوك .

كَ الـذَّاتُ يَـوْمـاً مَـنْ يُشَـاهِـدْ يُقِـمْ فِـي الغَـدِ للـدُّنْيَـا القَـوَاعِـدْ
ـا قَـدْ طَـافَ فِـي خَلْـقٍ كَثِيـرٍ بِخُلْـوَتِـهِ بِـذَاتٍ ، وَهْـوَ قَـاعِـدْ
ـكَ أَوْ لِقَلْبِـكَ فَـابـغِ بَـابَـا وخـذْ مـنْ شيـخِ حـانـاتٍ شـرابَـا
ـي الحـاجـاتِ فلتسلـكْ سبيـلاً لتطـرحْ مظهـراً واطهـرْ لبـابَـا

* * *

ـعُـدُ أمـةٌ للـذاتِ عـادتْ وفِـي عملٍ وفِـي نصبٍ تمادتْ[1]
ـعُ نـورُهـا فِـي الأفـقِ شـرقـاً إذا بسيـوفهـا ضـربـاً أرادتْ

* * *

ـلاَّحٌ مـن الأتـراك طـرَّب بـذوبِ الـوردِ منـه الخـدَّ رطّـبْ[2]
ـم أستطـعْ فِـي البحـرِ سيـراً فلِـي الطـوفـان أقهـرهُ وأركـبْ
ـكِ الأرضِ قـدْ مـزجـوا ثـرَانـا بـآيـاتِ الإمـامـةِ هـلْ تَـرَانـا[3]
ـدِينـا بعمـقِ الـذاتِ شـاهـدْ بهـذا القلـبِ حبّـاً مِـنْ ذُرانَـا[4] ؟

* * *

ـرارَ اليقيـنِ إذنْ عـرفتَـا عـنِ الاثنيـنِ عينـكَ هـلْ كففتَـا
ـاحيـنِ نـورٌ ليـس إلَّا بغيـرِ الـديـنِ مُلكـاً هـلْ أَلفتَـا

* * *

النصب : الإعياء .

يضرب شعراء الفرس بالترك المثل في الحسن . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي :

(لو اكترث هذا التركي الشيرازي لحالنا ورعى جامينا لوهبت خاله الأسود بخاري وسمرقند) .

الآيات : العلامات .

ذرى الحب : نثره . وفي الأصل ذرى الدنيا حباً في قلب المليك .

وإن عـرَّضـتَ ذاتـكَ لاختبـارِ خلقـتُ لـكَ السمـاءَ مـن الغبـارِ
شـرارُ الشـوقِ طَـيُّ القلـبِ منـهُ تُضيءُ الشمسَ فِي وضحِ النهارِ[1]

***

شعراء العرب

وقـلْ للشـاعـرِ العـربـيِّ عَنِّـي لياقـوتِ الشفـاهِ البخـسِ منِّـي[2]
قبسـتُ النـورَ بـالقـرآنِ حتَّـى جعلـتُ الليـلَ لِـي فجـراً يغنِّـي

***

وفِـي الأرواحِ قَـدْ أذكيـتَ جمـرَا ترابـي مـا يـراهُ النـاسُ قصـرَا[3]
غـديـرٌ سـاكـنٌ حـركـتَ فيـهِ عبـاباً ، ثـارَ فِـي النَّكباءِ بَحْـرَا[4]

***

أتـرسـمُ صـورةً ؟ لا يـا غـريـرْ لتعمـلْ مـا يحبِّـذهُ الضميـرْ[5]
وروضتُنَـا خفقـت بهـا جنـاحَـاً حنِيفـاً خُـصَّ بـالقبَـسِ المنيـرْ[6]
تُـرَابٌ نحـنُ ذُو قلـبٍ كئيـبْ وظَـلٌّ ظـلَّ فِـي الغصـنِ الـرطيـبْ
وهَـذَا النبـعُ فجَّـره بِسِحـرٍ جـوانـحُ مسلـمٍ حـرِمَ القليـبْ[7]

---

(١) الخطاب إلى المسلم .
(٢) بخسه حقه : نقصه إياه . يقول : إنه لم يقل شعراً في الغزل ، فما تغزل في الشفاه ولا شبهها بالياقوت .
(٣) أذكى النار : أضرمها .
(٤) النكباء : الريح بين الريحين .
(٥) الغرير : الناقص التجربة .
(٦) القبس : شعلة تؤخذ من معظم النار .
(٧) القليب : البئر . والمقصود بها بئر زمزم .

ـفٌ شبـهُ ربـي فـي الصفـاتِ ويحـــوي قلبُـــه أســـرارَ ذاتِ
ـورِ اللهِ تشهـــدُ فيـــه حسنـــاً لـــه أصـــلٌ بقلـبِ الكـائنـاتِ

* * *

ـنـــحَ ذاتـــهُ نـــوراً وَنَـــارَا ليصبـحَ ليلـهُ الـداجـي نهَـارَا
كَ اللحـــنُ فلتعـــزفْ بفيـــضٍ فَـــذلـــكَ ذوقُ تبـــديـــلٍ أثـــارَا
ـــركَ ينبغـــي للقلـــبِ حـــرْقُ ومثـلُ خفـوقِ قلـبِ سـواكَ خفـقُ
تٌ أنـــتَ تنكـــرُهـــا لشعـــبٍ « ونحـن الشعـبُ » قـولٌ منكَ حـقُّ

* * *

ـــلأرواحِ أســـــرارٌ دراهَـــــا بعيـــنِ الـــذاتِ مـــنْ دنيَـــا رآهَـــا
ـزفَ فِـي صميـمِ القلـبِ لحنَـا حَيَـاةً مِـنْ ذبـولٍ قـدْ بـراهَـا

* * *

ـفـظَ مـا بِصلصـالٍ لـديكَـا فكـمْ مـن نشـوةٍ حـامـتْ عليكَـا
ـــذا أو لـــذاكَ الـــدنُّ خلـــوٌ وقلبُـــكَ قـــدِّمِ الصهبَـــا إليكَـــا[1]
ـذا الليـلُ يـوحِشُنَـا بفَـدْفَـدْ فـأيـنَ المـاءُ والشحـرورُ غـرّدْ[2]
ـسَ يضـيءُ رهبـان سِـرَاجـاً فشمس الصبح حتماً سوف تشهد

* * *

ـي سيمـــاكَ ذِي نظـــراً فكـــرِّرْ وفِيمَـــا تُخْبِـــيءُ الأيـــامُ فكِّـــرْ
ـرْ مثلي بصحـراءِ الحمى سِـرْ لأنَّـكَ عمـقَ ذاتِـكَ قَـدْ تُقَـدِّرْ

* * *

الدن : جرة الخمر . والصهباء : الخمر .

الفدفد : الصحراء . الشحرور : طائر حسن التغريد .

يا بنَ الصحراءِ

تنيـرُ البيـدَ بـالفجـرِ الجميـلِ وَيَصـدحُ طـائـرٌ بيـنَ النخيـلِ[1]
« خيـامُـكَ يـا فتـى الصحـراءِ دعْهَـا أيمكـنُ أنْ تعيـشَ بـلاَ رحيـلِ ؟ »

* * *

وللـرُّحَّبَـانِ مِـنْ عـربٍ دليـلُ فمحنـةُ ربهـمْ فقـرٌ طـويـلُ[2]
وهـذَا الفقـرُ إنْ أمسـى غيـوراً تـرجَّـفَ كـوننَـا وهـو الـذليـلُ

* * *

شهـدْنَـا الصبـحَ فِـي ليـلٍ مبينَـا تجلَّـتْ فيـهِ أنـوارٌ لِسِينَـا[3]
صَححنـا مـنْ ريـاحِ البيـدِ روحـاً فمنهَـا القـومُ كـانـوا القـادِمينَـا

* * *

وما يدريكَ أنَّ المغوارَ فِي هذَا الغبارِ

رضـاكَ وذلـكَ التسليـمُ مـذهـبْ وعـنْ نهـجٍ لصـدقٍ أيـنَ تـذهـبْ
وشِعـري لا تفسِّـر بـاجتهـادٍ جنوني فِي حِجَايَ لديكَ مكتبْ[4]

* * *

---

(١) الكلام منسوب إلى الطائر .
(٢) في الأصل أن الله جعل العربي دليل القافلة .
(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ ويقول الشاعر : إن الأمم ظهرت من سينا .
(٤) الحجى : العقل . المكتب : المدرسة .

ـذَا المـرجُ أَقْفَـرَ مـنْ جنـونِـي وأصبـحَ كـالغـريـبِ بـلاَ خَـدِيـنِ
ـي بلـدٍ أصيـحُ ومـنْ صيـاحِـي جنـونٌ ظـلَّ كـالعقـلِ الـوزيـنِ

***

ـعِـي منبـتٌ فِـي الفَجْـرِ زَهْـرِي وَإِنّـي مُحْـرِقٌ زَهْـرِي بِجَمْـرِي
حسـبُ أنَّنِـي أَبْقَـى وَحِيـداً وزهْرِي ليسَ يدخلُ تحتَ حَصْرِ
ـركنِـي المشتَّـتُ كـالغبـارِ علـى النسمـاتِ مسلـوبَ القـرارِ
ـوبَـى لـي ويَـا بُشْـرَى فُـؤَادِي فمِنـي فـارسٌ يبـدُو بغَـارِ[1]

***

ـودُ القـومَ فِـي زمـنٍ يَضِيـرْ ويظهـرُ فيهـمُ البطـلُ الشهيـرُ[2]
ـديـهِ السـرُّ مـنْ أسـرارِ غيـبٍ أكُـلُّ ثـرى بـهِ بطـلٌ جَسُـورُ

***

قْـتُ كمـوجـةٍ فـي مـوجِ ذاتِـي إلـى الطـوفـانِ أَدَّتْ سـافِيـاتِـي[3]
ـا شـاهـدتُ لـونـاً مثـلَ هَـذَا وإِلَّا مـنْ دمِـي رُسمـتْ شِيـاتِـي[4]
ـانَ الخمـرِ بـالنظـراتِ أفْعِـمْ وَرَاحَ منِّـي بهـذَا الكـرمِ أَقْحِـمْ
ـنْ طـوفَـانِـهِ أمْسَـى غـديـرٌ صغيـرٌ مـنْ بحـارِ البحـرِ أعظـمْ

***

ـامَ الـركـبِ يـومـاً إنْ تسلَّـم فقـدْ كشـفَ الخفـا عـنْ كـلِّ مبهَـمْ
ـطهـرَ مـنْ بـأفـلاكٍ جِهـارَاً سمـواتٍ بهَـا مـا كـانَ يهتَـمْ

***

طوبى له : الخير والحسنى له . الغار : ما يكلل به رأس المنتصر من ورق الكرم .

يضير : يؤذي .

السافيات : الرياح .

الدمى : الصور والتماثيل . الشيات : الألوان .

وزُفَّ لهـذِهِ الـروحِ التهـانِـي ... ألـمْ تلـدِ الأميـرَ رفيـعَ شـانِ
ألـوذُ بحضنِهَـا أُمّـاً رؤُومـاً ... وأخجـلُ منـه حـوراً فِـي الجنَـانِ
يقـولُ الصـدرُ فِـي قلبـي حبيـبُ ... مغيـرٌ جَـاءَ هـيءْ مَـا يصِيـبُ
وعنْـد المـوْتِ فِـي سمعِـي يـدوّي ... « بسقطـةِ زهـرةٍ ثمـرٌ يطيـبُ »

* * *

الخِلافةُ والمُلْكُ

بنـورٍ للنبـي القلـبُ أضـرَمْ ... أنـارَ بشَـرقِـهِ مَـا كَـان أظْلَـمْ[1]
ولكـنَّ الخِـلافَـةَ وسـطَ تيـهٍ ... فهـذا المـؤمنيـن الملـكَ علَّـمْ[2]

* * *

ونشهـدُ أننَـا نَسْمُـو مَقَـامـا ... وهـذا الملـكُ قـدْ كـانَ الحرامَـا[3]
خـداعٌ كُلُّـه ، بـلْ كـلُّ مكـرٍ ... وتـرعَـى عهْـدَ ربِّـي والـذِّمَـامَـا[4]

* * *

نـزاعٌ فيـهِ ملـكٌ والكَلِيـمُ ... ومـنْ أكـدَى وأعـوزَهُ كَلِيـمُ[5]
هـي الأقـدارُ تجْـرِي كيـفَ شـاءتْ ... فعصفُ الريحِ ما وهبَ النسيمُ !
هـوَ الإنسـانُ فِـي الـدنيـا غـلامُ ... وليـسَ لِمَـا يـزاولُـهُ تَمَـامُ
لفقـرِ عظيـمِ قـومٍ كنـتُ عبْـدَاً ... لـديـهِ الملـكُ فِـي ديـنٍ حـرَامُ

* * *

---

(١) يقصد العربي .
(٢) إقبال لا يرتضي الخلافة إذا كانت كالملك .
(٣) الخلافة هي التي تشهد .
(٤) الذمام : الحرمة والحق .
(٥) أكدى : افتقر . والكليم : البساط أو الثوب الخلق في الفارسية .

بنظـرتـهِ المحبـةُ مـا يـدُومُ ومنـهُ السكـرُ تقْـدِيـراً يَـرُومُ
وهـذِي « عبـدُهُ » كـانـتْ مَقَـامَـاً بتـربيـبٍ لأشـواقٍ يقُـومُ[1]

***

التركي العثماني

بملـكٍ واسـعٍ أضحَـى أميـرَا بقلـبٍ قـدْ وعَـى أمسَـى بصيـرَا
يظـلُّ مـنَ الفـرنجـةِ فِـي قيـودٍ لسحـرِ طِلَّسْمِهـمْ بَقِـيَ الأَسِيـرَا

***

لمـنْ قـدْ أبطَلـوا ذا السحـرَ طـوبَـى ومَـا شَغلُـوا بعَهْـدِهِـمُ قُلُـوبَـا[2]
بـذاتِـكَ فـاعتـرفْ واليـأسَ جانـبْ تحـدَّى قبلَهـمْ قـومٌ خطـوبَـا

***

بهـمْ قَـدْ حقَّـقَ التـركُ الـرغـائـبْ ونـالُـوا بغتـةً أعلَـى المـراتـبْ
أليـسَ لمسلـمٍ عينـاً بصيـر ! لقـدْ كشـفَ المصيـرَ لـهُ الأَجـانـبْ

***

---

(١) تردد ذكر « عبده » في ديوان « رسالة الخلود » لمحمد إقبال وهو القائل تحت عنوان « الحلاج » :

عفـر العـالـم خـداً عنـده نفسـه سمـى النبـي عبـده
عبـده فهمـا لـديـك تبهـر إنـه الإنسـان وهـو الجـوهـر
عبـده قـد شكلـت هـذا القـدر بالفيافي الخصب منها قد ظهر
غيـر عبـد عبـده فلتعتبـر عبـده فيهـا انتظـار المنتظـر
عبـده كنـه جميـع الكـائنـات عبـده فيهـا معـان مغلقـات

(ص٢٠١ ـ ٢٠٢)

(٢) طوبى لهم : الخير والحسنى لهم .

فتاةُ المجتمعِ

فتـاتِـي دعـكِ مـنْ هـذَا التجمُّـلْ ... مـنَ الكفَّـارِ تـزيينٌ أيجمـلْ؟[1]
وصـدِّي القلـبَ عـن تـوريـدِ خَـدٍّ ... فـإنَّ الغـزوَ مـنْ عينِ التـأمُّـلْ[2]

* * *

لـكِ النظـراتُ مـنْ ربِّـي حسـامُ ... لـروحٍ مـنْ جـراحـاتٍ قـوامُ[3]
ومنهَـا يستمـدُّ القلـبُ شيّـاً ... فمـاءٌ للحيـاءِ هـوَ المـرامُ

* * *

ضميـرُ العصـرِ ليـسَ لـهُ نقـابُ ... علَـى حسـنٍ تَفتَّـحَ منـهُ بـابُ
بنـورِ اللهِ دنيَـا فلتُنِيـري ... عليـهِ فـي تجليـهِ الحجـابُ
ويصلـحُ عيشُنـا بـالأمَّهـاتِ ... أميـنٌ قلبهُـنَّ لممكنـاتِ
وهـذا إنْ يغـبْ عـنْ فكـرِ قـومٍ ... فليـسَ لأيِّ أمـرٍ مـنْ ثَبَـاتِ

* * *

أصَبْنَـا العقـلَ مـن ذاكَ الجنـونِ ... بنظـرةِ هـذهِ الأمِ الحنُـونِ
ومَـا فِـي مَكْتـبٍ عيـنٌ وقلـبٌ ... وهـلْ مـنْ مكتـبٍ غيـرَ الفنـونِ

* * *

ويسعـدُ مَـنْ رأَوْا بـالـواردات ... قيـامـاتٍ بتلـكَ الكـائنـاتِ[4]

---

(١) يجمل : يحسن .
(٢) يقول : إن الحسناء تغزو قلب العاشق بعينها .
(٣) قوام الشيء : نظامه وأساسه .
(٤) الواردات : حلول المعاني بالقلب ، وما يخطر عليه بلا تفكر ولا تدبر .

ـا قـدْ فَـاتَ أو مـا سـوفَ يـأتِـي لهـــمْ أبـــدى جبيـــنَ الأمهـــاتِ
ـصحـــي فـــاجعَليـــهِ مـــلءَ أذنـــكْ ليفْنَـى النـاسُ طُـرّاً قبـلَ دفْنِـكْ[1]
نِ العصـرِ اختَفَـى ، كـونِـي بتـولًا ليبقَـى شبـرٌ فـي دفءِ حضنـكْ[2]

***

ـــنْ ليـــلٍ لنَـــا فجـــراً أنِيـــري إلـــى القـــرآن عـــودِي بـــالبَصِيـــرِ[3]
ـــرأتُ) وتعلميـــنَ لهَـــا أُوارٌ بهَـــا عُمَـــرٌ تغيَّـــرَ فـــي كثيـــرِ[4]

***

العصرُ الحاضرُ

ـصـــرٌ منـــهُ للـــديـــنِ الشكـــاةْ وحـــرِّيَـــاتُـــه وأدُ الطغَـــاةْ
ـــوهٌ فيـــهِ لـــلإنســـانِ شـــاهـــتْ وأفســـدَ نقشَـــهُ حتَّـــى الهـــواةْ[5]

***

ـطـــرَتُـــه بهـــا تصـــويـــرُ كفـــرٍ وليـــسَ كمـــالُ فـــنٍّ غيـــرَ جمـــرِ

طراً : جميعاً . يقول إذا انتصحت بقولي فإن ألف أمة تموت وأنت لا تموتين .

البتول : العذراء وتطلق على السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وشبر أو شبير : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .

أي اطلبي إلى أهل النظر أن يعودوا إلى كتاب الله الكريم لتدبره .

يلمح إقبال إلى سبب وقوع الإسلام بقلب عمر بن الخطاب وذلك أنه دخل على أخته وزوجها فوجدهما يقرأان سورة طه . وقالت له أخته (إن كان الحق في غير دينك فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ودفعت إليه الكتاب فقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ ثم أسلم .

في الأصل أن بهزاد هذا العصر أفسد نقشه . وبهزاد : اسم أشهر رسام إيراني في العصر الصفوي .

ومـنْ تُجـاره فـي السـوقِ فـاحـذرْ فهــذا ميَسَّــرٌ فِــي كــلِّ أمْــرِ

***

شبـابَ القـومِ هـذا العصـرُ أفسـدْ لإبليـسَ دُجَـاه الصبـحَ فـاشهـدْ
لــهُ الأذيــالُ تطــوينَــا كَنَــارٍ فكــلُّ شُعَــاعِ نــورٍ فيــه يُخْمَــدْ
جَمَعْنَــا بيــنَ سلطــانٍ وفَقْــرٍ ومَــا يغنــي وَمَــا يبْقَــى لــدهــرِ
عيــاذاً منــهُ بــالبــارِي عِيَــاذاً دَمُ الشيطـانِ في السلطـانِ يجْرِي !

***

أرقــصٌ ذاكَ ؟ إنــي لســتُ أدرِي أنشْــوَةُ فــرحــةٍ أمْ سكــرُ خمــرِ
لتقليــدِ الفــرنجــةِ كــانَ رقــصٌ وليـسَ دمـاً بعـرقِـكَ وهـوَ يَجْـرِي

***

البرْهَمِيّ

فتحــتُ لفتنــةٍ بــابَــاً وبَــابَــا مشيتُ ، سقطتُ ، لاقيتُ الصعَابَا
دُمَــى للبــرهَمِــيِّ تــزيــنُ طــاقــاً بـرأسِ الطـاقِ علقـتُ الكتَـابَـا ؟[1]

***

أَفـي عمـلٍ ونَـى ؟ لا بـلْ أطَـالَا لـه الأحجـارُ يكسـوهَـا الصقَـالَا[2]
بقــوةِ ســاعــديــهِ بــرَى إلهــاً صلـودَ الصخـرِ قـدْ يـزنُ الجبَـالَا[3]

***

---

(١) الطاق : ما جعل كالقوس من الأبنية .
(٢) ونى : أبطأ .
(٣) برأ : خلق .

ويحفظُ بـرْهميٌّ كُلَّ أمرٍ ... ولا يفضي إلى أحدٍ بِسرِّ
وهذِي سبحةٌ قَالَ اطَّرحْهَا ... بزُنارٍ على كتفيهِ يجرِي[1]
وقالَ لتبتعدْ عنْ بابِ غيرٍ ... فمنْ أهلٍ لنَا نحظَى بخيرِ
ومَا تسعُ المساجدُ غيرَ مُلاًّ ... ومنْ سحرِ الدُّمَى كَانَا بدَيْرِ

***

التعليم

يدومُ لقلبنَا هذا اللهيبُ ... كَسُوطٍ ، والحياةُ هيَ النجيبُ[2]
فعلِّمْ ذاكَ أبناءً فعلِّمْ ... لأَنَّ كِتَابهمْ سِحْرٌ يَخِيبُ

***

ومِنْ علمٍ بقلبٍ ليسَ حرقا ... تأمُّلُ متقٍ خيرٌ وأبقَى
وأَصْفَى مِنْ عيونِ الصقرِ قلبٌ ... هوَ المزوَرُّ عنْ دارَيْهِ حَقًّا[3]

***

إلهِي مؤمناً لا ريبَ يسلُو ... من الروحِ الرقيقةِ وهوَ يخلُو
لذَا عنْ مكتبِ الخلانِ أمْضَى ... فما صَادفَتْ منْ بالذاتِ يعْلُو[4]
ألَا يا حبَّذَا هذَا الضريرُ ... إذَا ما أخطأَ النَظَر البصيرُ
أُفَضِّلُ جاهلاً وَرِعاً تَقِياً ... بعلمٍ ليسَ يخْدَعُنِي الكَفُورُ

***

---

(١) اطرحها : ألقها . الزنار : ما يشد به النصراني وسطه .
(٢) النجيب : الفرس الكريم .
(٣) ازورَّ : مال وحاد .
(٤) يعاود إقبال ذكره للذات على أنها أهم ما ينبغي الالتفات إليه والاهتمام به في تعليم النشء .

أَيُجْدِي الفِكْرُ فِي أَوْجِ السَّمَاءِ ... يحومُ عَلَى النجُومِ بِلَا انتِهَاءِ
كَأَنَّ الرِيحَ تَزْجِيهِ سَحَاباً ... فَتَاهَ ممزَّقاً وَسَطَ الفَضَاءِ[1]

* * *

عَلِيمٌ زَانَهُ أدبٌ وجاهلْ ... كريمٌ منهُ مَنْ يحظَى بِحَاصِلْ[2]
وَمَا أحببتُ إنساناً عَلِيماً ... وَمِنْ أدبٍ نصيبٌ غَيرُ كَامِلْ
لماذَا اليأسُ مِنْ طفلٍ صغِيرٍ ... إذَا ما شِئْتَ فانْعَتْ بالغَرِيرِ
ولكنْ مَنْ يعَلِّمُهُ لتسألْ ... أَلِلأَطفالِ قلبٌ فِي الصُّدُورِ ؟

* * *

صغيرَكَ لقِّنَنَّ الدينَ علمَا ... ليشرِقَ سعدُه بدراً ونَجْمَا
ولو قدَّمتَ بينَ يديهِ فضلاً ... لزيَّنَ باليدِ البيضَاءِ كُمَّا[3]

* * *

غناءٌ مِنْ بَلَابِلِ مَا أصَابَا ... أُوارٌ بالورودِ لديهِ طَابَا[4]
بِعِلمٍ ليتَ شِعْري أيُّ فخرٍ ... فعنْ روحٍ لأجلِ الخبزِ غَابَا
إلهِي حَيِّ للدرويشِ ذِكْرَى ... يفتحُ قلبَنَا عِطْراً وزَهْرَا
وينصحُ طِفْلَنَا نصحاً حَكِيماً ... « لخبزِكَ لا تَذِلَّ النفسَ أسْرَا »

* * *

و « إلا الله » مِنْ دوماً تذَكَّرْ ... مِنَ الملَّا ومِنْ درسٍ تحرَّزْ[5]

---

(١) تزجيه : تدفعه .
(٢) يقول : إن الأدب زينة للعالم والجاهل على السواء ، ويكرم من ينال من الأدب نصيباً .
(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ وبيضاء بمعنى مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة .
(٤) الأوار : لهيب النار .
(٥) في الأصل (لا إله) .

هـذَا العلـمِ لا تبْسُـطْ جَنَـاحَـا ... بِـهِ الإنسـانُ فِـي عجْـزٍ تحيَّـرْ[1]

* * *

إنْ لـصٌّ علـى رَكْـبٍ أغـارَا ... أتسْـأَلُ كيـفَ أورَدَهُـمْ بَـوارَا[2]
ـلاَ تـأمـنْ إذا حصَّلْـتَ عِلمـاً ... فمنـهُ الـروحُ يمكـنُ أنْ تُضَـارَا[3]
تـىَ راقـتْ فَصَـاحتَـهُ وسِيـمُ ... ونظـرتُـهُ كليـثٍ لا تُقِيـمُ[4]
ـفـي درسٍ تلقـنْ عِلْـمَ شَـاةٍ ... ومَـا إنْ يسَّـرَ الـورقَ الجمِيـمُ[5]

* * *

سَقـب أي شـيءٍ مـا دَرَاهُ ... إلهِـي قـال إنـي لَا أرَاهُ[6]
قـالَ أبـوهُ قَـدْ يُمنَـى بَعِيـرٌ ... بعَثـرَتِـه ليشْهـدَ مَـنْ بَـرَاهُ[7]

* * *

السعْيُ في الرِّزْق

مِـنْ سطـحٍ إلـى سطـحٍ تطيـرْ ... بِهـذَا مَـا سَمَـتْ قَـطُّ الصقُـورْ
ذَا مَـا كَـانَ صَيْـدُكَ بَعْـضَ رِيـشٍ ... فخيـرٌ منْـهُ مـوتٌ فـي الـوكُـوزْ[8]

* * *

---

١) في الأصل : هذا العلم يسلبنا عيننا وقلبنا ويدنا .
٢) البوار : الهلاك .
٣) تضار : تصاب بالضرر والأذى .
٤) يشبه نظرته في دوام حركتها بأسد جوال لا عرين له .
٥) الجميم : النبات .
٦) السقب : ولد الناقة .
٧) يمنى : يبتلى . براه : خلقه .
٨) الصيد : الفريسة . الوكور والأوكار : جمع وكر وهو العش .

لـذاتـك نظـرة فـي كـلِّ أمـرِ لنَـا مِـنْ نَظْـرةٍ سـوطٌ لنَجْـرِي
وَمَـا نسْعَـى وَرَاءَ الـذكـرِ إلَّا لِكَـي نَعْلُـو وَنَعْلُـو مِثْـل طَيْـرِ

* * *

التمساح وصغيره

وللتمْسـاحِ هَـذَاكَ الكَـلاَمُ « لـزُومُ الشـطِّ فِـي دِينـي حَـرَامُ
عَـنِ الشـطِّ ابتَعِـدْ مـوجـاً تسَلَّـقْ فَعِـشْ بحـرَنَـا وَبِـهِ نَنَـامُ »

* * *

وَهَـذَا البَحْـرُ فِـي صَـدْرٍ حَمَلْتَـهْ وذَا الطـوفَـانُ فِـي حَـرْبٍ غَلَبْتَـهْ[1]
ولَـوْ فِـي بُـرْهَـةٍ أَعْيَـا وَأَغْفَـى لَكَـانَ مُقَـاتِـلاً مَـا إنْ قَتَلْتَـهْ

* * *

خاتمة

عـنِ السَّـاقِـي وَعَـنْ كَـأْسِ المـدَامِ سَكَـتُّ وَكَـانَ عَـنْ عِشْـقٍ كَـلاَمِـي
مِـنَ الأَخْيَـارِ فِـي قَـوْمٍ حَـدِيثَـاً سمِعْـتُ لِكَـيْ أبْلُـغْ بـالتَّمَـامِ

* * *

بقلبـكَ أمْسِكَـنَّ وعِـدْ لِنَفْسِـكْ وَصَـدْرُكَ فَلْيَكُـنْ دَارَاً لحبْسِـكْ
لِتَسْـقِ الحقـلَ دَمْعـاً مِـنْ دِمَـاءِ نَثَـرتَ الحَـبَّ فلتعمـلْ بِفَـأْسِـكْ

* * *

---

(١) طوفان في الفارسية بمعنى العاصفة ومعنى الطوفان في العربية . ونحن نشير إلى المعنيين تمهيداً لفهم التورية الممكنة .

بقَلْبِ حَوْلَ هَذَا البيتِ طُفْنَا وَمَا كَمُطَوِّفٍ بِالبَابِ كُنَّا[1]
ويَكْمُنُ بيننَا سِرٌّ عَجِيبٌ وهَذَا الرَّمزُ عَنْ جِبْرِيلَ عَنَّا[2]

* * *

العالمُ الإنسَانِيُّ[3]

كَانَ حُبُّ الخيرِ للمرْءِ احتِرَامَا كَيفَ تَنْسى أَنَّه يسمُو مَقَامَا

جاويدنامه[4]

تمهيد

عَلَينَا فَلْتُدِرْ كَأْسَ الشمُولِ ونَضِّرْ لِي رَبِيعاً فِي ذُبُولِ[5]
وأَنْفَاساً مِنَ الأَنْغَامِ هَبْنِي أُضَرِّم نَارَ نَايِي بِالأَلِيلِ[6]

* * *

بَقِيتَ بخلوةٍ فلتَأْتِ مَرَّه وَصَدْرُكَ فِي الصَّبَا فَتْحٌ بِخَطْرَه

---

(١) طوف : طاف .
(٢) عن عنه : بعد .
(٣) في الأصل أن الإنسانية هي احترام الإنسان . ومفهوم الإنسانية : حب الخير للإنسان ورقة الشعور نحوه .
(٤) وهذا البيت في ديوان « جاويدنامه » لمحمد إقبال الذي ترجمة الدكتور مجيب المصري بعنوان « في السماء » وهو الديوان السابع من مجموعة هذه الدواوين باسم « رسالة الخلود » .
(٥) دارت الكأس : تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر . والشمول : الخمر أو الباردة منها .
(٦) الأليل : الأنين .

مقـــامَ الـــريـــحِ والألـــوانِ دوَّى فـــزدْ فِيـــهِ لهـــذَا الطيـــرِ نَبْـــرَه

* * *

أَثَـــارَ الـــدهـــرُ فِتْنَتَـــه ، وَوَلَّـــى لئـــامَ النـــاسِ مَـــنْ رَبَّـــى ، وَوَلَّـــى
بـــــلادَ اللهِ بغـــــداداً مَحَـــــاهَـــــا عَلَـــى عجـــلٍ كَجِنْكيـــزٍ ، وَوَلَّـــى
بهـــذَا الغـــدِ كَـــمْ شَغَلـــوا القُلُـــوبَـــا فَهُـــمْ فِـــي أَمْسِهِـــمْ ذَاقُـــوا شَعُـــوبَـــا[1]
فمـــنْ فِـــي يَـــوْمِـــهِ أَحْيَـــا دَوِيَّـــاً لِيَسْعَـــدْ أَوْ لِيَسْمَعْـــهُ الطـــرُوبَـــا ؟

* * *

أنُحْـــتَ كَمـــا يَنُـــوحُ العنـــدليـــبْ فَمَـــا للـــرُّوحِ مِـــنْ نَـــوْمٍ هُبُـــوبْ
بِهَـــذَا الـــرَّوضِ قَطْـــفُ الـــزهْـــرِ حَـــلّ وَلَيـــسَ لـــدَيـــكَ مِـــنْ شَـــوْكٍ نُـــدُوبْ[2]

* * *

علـــى الـــذَّاتِ انْطِـــوَاءٌ ، فَلْتُعلِّـــمْ بظفـــرِكَ حَفْـــرُ صَـــدْرِكَ ، فلْتعلِّـــمْ
تـــرجِّـــي رؤيـــةَ المـــولَـــى عَيَـــانَـــاً فـــرؤيـــةُ عمـــقِ ذاتِـــكَ ، فَلْتُعلِّـــمْ
عـــنِ الشكـــوى مِـــنَ الأيـــامِ أَقْصِـــرْ فمـــنْ لَـــمْ ينْصَهِـــرْ كـــالتِّبْـــرِ يُخْسِـــرْ[3]
يطيـــبُ المـــاءُ فِـــي نَهْـــرٍ بصَخْـــرِ يشتِّـــتُ مِنْـــهُ أمْـــواجـــاً وَيَكْسِـــرْ

* * *

عـــنِ الـــورْقَـــاءِ للفَـــرْخِ الصغيـــرِ « بطبـــع كيـــفَ نَحْيَـــا كَـــالحَـــرِيـــرِ[4]
فَقُـــلْ فـــي نشـــوَةِ الأشـــوَاقِ يَـــا هُـــو وَخُـــذْ مَـــا زَانَ هَـــامَـــاتِ الصُّقُـــورِ »

* * *

---

(١) شعوب : الموت .
(٢) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح .
(٣) أقصر عن الكلام : سكت .
(٤) الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة .

وِيُـكَ مِـنْ مقـامِ الكبـريـاءِ وعَفَّـرْتَ الجبيـنَ لأدْنيـاءِ[1]
ـاهِينَـاً أَرَاكَ تَصِيـدُ ذَاتـاً ولكـنْ فِـي شِبَـاكِـكَ بِـارْتِمـاءِ
كَ البشـرَى فَـذَاتَـكَ تستـردُّ ومِـنْ فقْـرِ غِنـىً مـا تستَمِـدُّ
ـاةُ الخُلـدِ هـذِي فِـي يَقِيـنٍ وفِـي حـدْسٍ لمـوتٍ تستَعِـدُّ[2]

* * *

ـنْ ذاتٍ تحَجَّـبُ بـالحجـابِ إليهَـا حَبَّـذَا يَـوْمُ الإيـابِ
ـي رِزْقِـي لـي التفْكِيـرُ كَفَـرْ وَأَنْـتَ كَفَـرْتَ مِـنْ عِلْـمِ الكتَـابِ[3]

* * *

ـبِ قـالَ هـذَاكَ البعيـرُ « تـأمَّـلْ أنـتَ لِـي نِعْـمَ النَّظِيـرُ
ـلْ مِثْلَنَـا ، جِبْنَـا الصَّحَـارَى بـأحْمَـالٍ لنَـا كُنَّـا نَسِيـرُ »[4]
لامُ جهبـذِ الإفـرنـجِ قَـالَا وَفِـي كَـوْنٍ وَفِـي عَـدَمٍ أَطَـالَا[5]
ـنَ الأعجَـامِ شَيْـخٌ قَـالَ قَـوْلَا أَبَلِّغُـهُ ، فَـأَلْـقِ إِلَيْـهِ بَـالَا

* * *

ـيـبٌ عنـكَ يَجْعَلُـكَ القَتِيـلَا لقَلْـبٍ تشْتَـرِي الحـزْنَ الـوَبِيـلَا[6]

عفر الجبين : مرغه في التراب .

الحدس : الظن والتخمين .

يذهب إقبال مذهب المتصوفة الذين لا يرون أن النظر في الكتب وسيلة إلى العلم ، فهم على أن القلب هو مصدر المعرفة وليس العقل الذي يعد وحده مصدرها عند غيرهم . ويروى أن بعض الصوفية طرحوا كتبهم في النهر . ومنهم من دفنوها في جوف الثرى رغبة في الخلاص منها لعدم جدواها . وفي هذا المعنى قال شاعر فارسي ما ترجمته : (اغسل الأوراق إن كنت في الدرس زميلنا ، فليس لعلم العشق دفتر عندنا) .

جاب الصحراء : اجتازها .

الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

الوبيل : الشديد .

ويَفْضُلُ كُلَّ تَأْوِيلٍ لِشَيْخٍ مَعَ الذاتِ الجلوسُ وَلَوْ قَلِيلاَ

* * *

وجُودُ ذَاكَ أَمْ هَذَاكَ مَظْهَرْ حَكِيمٌ عِنْدَنَا الإِشْكَال فَسَّرْ
وعلْمُ الغوْصِ ضَمَّنَهُ كِتَاباً ولكِنْ ليتَهُ فِي العُمْرِ أَبْحَرْ[1] !
إِليكَ الفأسَ ، هَذَا بيستُونُ وبادِرْ ، دَهْرُكَ العَاتِي خَؤُونُ[2]
شَرَارَ الفأس دع مَنْ قالَ عنْهُ أمِنْ فَأسٍ ؟ أَمِنْ حَجَرٍ يَكُونُ ؟

* * *

سِرَاجُ مُنَاكَ فِي كَفَّيْكَ أَبْقِ مقَامَ الهَاتِفِينَ فَنَلْ بِحَقِّ
وفِي دُنياكَ فَاحْذَرْ مِنْ ضَيَاعٍ بِذَاتِكَ خُذْ ، دعِ الدنْيَا لِمَحْقِ[3]

* * *

وهَذَا القلبُ بَحْرٌ مِنْكَ يَسْكُنْ ومِنْ جَرّاكَ فِيهِ الدُّرُّ يَكْمُنْ[4]
فثرْ يَا موجُ وَاحذرْ مِنْ سُكُونٍ فَهذَا البحْرُ دَارَا مِنْكَ يَحْسُنْ
إلى ذاتٍ لكَ الداريْنِ فاجْذِبْ أعَنْ ذَاتٍ تشرّقُ أوْ تغرِّبْ
ويومَكَ مِنهمَا نُوراً لتُبصِرْ وَهَذَا النُّورُ يَوْمَكَ لَا تُجَنِّبْ

* * *

---

(١) يتهكم الشاعر مرير التهكم بمن يدعي بالوجود علماً ، فيقول إنه يخرج الكتاب ليعلم الناس الغوص في البحر وهو لم يركب البحر في العمر مرة .

(٢) إليك الفأس : بمعنى خذ الفأس . وبيستون : اسم جبل في إيران جاء في القصص الفارسي أن من يسمى فرهاد شق في صخره طريقاً ، وكان في ذلك صادعاً بأمر الملك برويز في خبر أسلفنا الإشارة إليه . والشاعر يدعو إلى الإقبال على العمل وإنجازه بقطع النظر عما يتكشف عنه من نتيجة وعدم المبالاة بالمادحين والقادحين .

(٣) محقه محقاً : أهلكه .

(٤) من جراك : من أجلك ..

يـا زَهْـرَةً هَـا قَـدْ ظَهَـرْتِ بِـوَجْـهِ الحسْـنِ دُنْيَـانَـا أَنَـرْتِ
ـي زهـرةُ البستـانِ قـالُـوا بغصْنِكِ كيفَ كُنْتِ وكيفَ صرْتِ ؟

* * *

التبريـحِ لا يبكِـي الـرجـالُ بصـرفِ الـدهْـرِ يومـاً لـمْ يُبَـالُـوا[1]
تبكـي ولكـنْ لسـتَ مِنهـمْ لـدمعٍ مِـنْ لَظَى الشـوقِ انهِمَـالُ[2]
نْ فِـي مِحْنـةٍ نَسِـيَ الفنَـاءْ ولوْ شهدَتْهُ في الموتِ السَّماءْ[3]
تَ بمـوتِـهِ هَـذَا جَـدِيـرٌ وَإِلَّا فَلْتَمُـتْ مَـوْتـاً تَشَـاءْ

* * *

كَ وَهْـوَ عـنْ روحٍ غـريـبْ غصـونـكَ ليسَ يـرويهـا صَبِيبُ[4]
كَ بحـرقـةِ الأنفـاسِ واسعـدْ فمبتهـجٌ بِهـا الصـدْرُ الكئيـبُ

* * *

ـا قَـدْ تكـاثـرتِ الغمـومُ غَـرِيبـاً مُسْعِـداً كُنَّـا نَـرُومُ[5]
ءْ فِـي غـدٍ مـا أنـتَ تبغـي ولكـنْ إنْ عـرفـتَ بكـمْ يقُـومُ[6]
ـمٌ ذاتَـهُ والقلـبَ ضَمَّـا بِرَمْيِ الشِّصِّ لا يؤْذِي الخِضَمَّا[7]
ـي السكـرُ للنظـراتِ حِـلٌّ بغِـلِّ القلـبِ والكفَّيـنِ حتْمَـا

* **

التبريح : من برح به الأمر : إذا أجهده وآذاه .

تهمل الدمع : سال .

المحنة : بمعنى الامتحان والشدة . وفي هذا احتمال التلميح إلى من يموتون من أجل رأي يرونه وعقيدة يعتقدونها ومن يصيبهم الله بالبلاء ليبلوهم به .

الصبيب : المصبوب . والمقصود به هنا الماء .

المسعد : المواسي المشارك في الحزن .

امت السلعة بالثمن : تعدلت به .

الكريم : خير الناس . والشص : حديدة معقوفة يصاد بها السمك .

هُمُـــومٌ قلْبُنَـــا مِنْهَـــا تَفَطَّـــر ... تـــرابٌ أصْلُهـــا وضـــرٌ وَأَكْـــدَرْ[1]
ولكـــنْ مَـــا عَـــرَفنَـــا الهـــمَّ يحْلـــوُ ... بـأصـلِ الفكـرِ فِـي عَقْـلٍ تفَكَّـرْ[2]

***

إلـــى الأقـــدَارِ لا تنســـبْ أُمُـــورَا ... وَكـــانَ اللهُ وَهَّـــابـــاً غَفُـــورَا
ولكـــنْ قَلْـــبِ الـــدنْيَـــا ففِيهَـــا ... حقيـرُ النـاسِ مَـنْ قَمَـرَ الأمِيـرَا[3]
مـــريـــرَ الحقـــدِ فَلْيَلْفُـــظْ جَنَـــانُ ... مـــن الشُبَّـــاكِ فليخْـــرُجْ دُخَـــانُ[4]
وليـــسَ لحقـــلِ قلبـــكَ مـــنْ خـــراجٍ ... فيـا دُهْقَـانَ هـلْ مِنْـكَ الأَمَـانُ ؟[5]

***

لفجـــرٍ مـــنْ ليـــاليـــهِ الظهـــورُ ... لكـــوكبـــهِ علـــى الـــداريـــنِ نـــورُ
وأعجـــزُ عـــنْ كـــلامٍ فيـــه عجـــزاً ... فعنـــدَ المـــوتِ يغشـــاهُ الســـرورُ

***

وَقَـالَـتْ للصَّبَـا فِـي الظَّـلِّ قَطْـرَهْ ... مُنَـــاي إلـــيّ مـــن عينـــكَ نَظْـــرَهْ
مـــنَ الأزهـــارِ فـــي قلبـــي مَـــلاَلٌ ... فهبِّـي كَـيْ أُوَافِـي العشـبَ مَـرَّهْ[6]

***

---

(١) الوضر : القذر .
(٢) يقول : إن الهم الحلو المناقض للهم المر الذي تتأذى به هو هم العقل المفكر .
(٣) قمره : غلبه في القمار .
(٤) لفظ الشيء : ألقاه من فمه . والجنان : القلب . يشبه خروج الحقد من القلب بخروج الدخان الذي لم يكن مستحب البقاء في الدار .
(٥) الدهقان : رئيس الإقليم .
(٦) وافى : أتى .

القلب

بِـــلاَ شَـــطٍّ خِضَـــمٌ كَـــانَ قَلْبَـــا يثيـــرُ بهيبـــةِ الأمـــواجِ رُعْبَـــا
بسيـــلٍ مغـــرقٍ سهبـــاً وسهبَـــا حبَـــابٌ فيـــهِ بـــالأفـــلاكِ يعبَـــا ؟[1]

* * *

لهيـــبٌ ، جسمُنَـــا مـــوجُ الـــدخـــان ومِـــنْ خَفَقَـــاتِـــهِ رَجْـــعُ الأَغَـــانِـــي
ومجلِسُـــهُ بِـــذِكْـــرِ الـــوَهْـــنِ أمْسَـــى كقطـــرةِ زئبـــقٍ تبـــدُو لـــرانِ[2]

* * *

وينجِـــحُ سعيُـــه دَهْـــرَ مُثَـــابِـــرْ بصـــونِ الـــذاتِ درويـــشٌ يُجَـــاهِـــرْ
وصُـــنْ للقَلـــبِ سُلطَـــانـــاً وَفَقْـــرَاً فهـذَا البحْـرُ قَـدْ صَـانَ الجـوَاهِـرْ[3]
قِـــوَى للـــذاتِ يـــومـــاً مَـــا بَلَـــوْتَـــا وقَيْـــداً بَعْـــدَ قيـــدٍ مَـــا حَطَمْتَـــا[4]
يَـــدُومُ العقـــلُ لِـــلإنْسَـــانِ قَيْـــداً إذَا فِـــي صَـــدْرِه القلـــبُ افتقَـــدْتَـــا[5]

* * *

تَقُـــولُ القلـــبُ مـــنْ تـــربٍ مهيـــنٍ يـــذوقُ الأســـرَ مـــن كـــافٍ ونُـــونِ

---

(١) الخضم : البحر . السهب : الأرض المنبسطة . والحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر . والشاعر يريد ليقول إن الأفلاك كلها لا تساوي فقاعة واحدة في هذا السيل .

(٢) يقول : إن هذا القلب نار والجسم موج دخانها ، وهو بخفقه أشبه شيء بالقيثارة . الوهن : نصف الليل . ويشبه من يطربون لذكر الله ليلاً في هزتهم وحركتهم بالزئبق الرجراج .

(٣) أنجحه : جعله ناجحاً . وإقبال يجري على مألوف عادته في الربط بين فقر النفس وعظمة السلطان .

(٤) بلوت : اختبرت . حطم : مثل حطم بتشديد الطاء .

(٥) افتقد : فقد .

وفِـــي صـــدْرِ لقلـــبٍ مستقَـــرّ هُنَـا مَـا كَـانَ يَـوْمـاً بِـالقَطِيـنِ[1]

***

ودنيَـــا النيِّـــرَيْـــنِ بِهَـــا تَمَنْطَـــقْ وَكَـــمْ عَقْـــدٍ يَحِـــلُّ إذَا تَحَـــرَّقْ[2]
فَقُـــلْ لِلْهنْـــدِ هَـــذَا مِـــنْ كَـــلاَمِـــي بصَخْـــوَتِـــهِ غُـــلاَمُ الهنْـــدِ يُعْتَـــقْ
وكُنَّـــا حقْـــلَ رَبِّـــي وَهْـــوَ حَـــاصِـــلْ لِعَـــالَمِنَـــا عَـــرُوسٌ وهـــو محمَـــلْ
غبـــارَ مـــنْ درَى ســـرّاً بـــدَربٍ ولم يكُ غيرَ هذَا القلْبِ ، فاعقِلْ[3]

***

دؤوبٌ يطلُـــبُ الحســـنَ الغـــرِيبَـــا خطيـــبٌ كـــانَ منبـــرُهُ صَلِيبَـــا[4]
وسلطـــانٌ لـــهُ خيـــلٌ وجَيـــشٌ ويعـــدمُ عنـــدَ دولتِـــهِ نصيبَـــا

***

ودُنْيَـا القلـبِ مـا اتَّسمَـتْ بـرونَـقْ ومـا يبـدُو بهـا حِجْـرٌ وَجَـوْسَـقْ[5]
ومـنْ أرضٍ خلـتْ بـل مـن سمـاءٍ و « الله هـــو » تغشَّيهَـــا فتغْـــرَقْ
رأتْ عيـنٌ ، أتَـى قلـبٌ سـرِيعَـا أرَادَ يقيـسُ عـالمنَـا الـوَسِيعَـا
وهـــذَا القلـــبُ سِكِّيـــراً يسمَّـــى تحسَّـــى مَـــا بِـــهِ حُسْنَـــاً بَـــدِيعَـــا

***

سهـامُ العشـقِ مِـنْ عيـنٍ تصيـبُ يطيـبُ الجـرحُ والـرامِـي حَبِيـبُ
بِصَيـدِ القلـبِ سهمُـكَ فلتـدَعْـهُ بكـلِّ الصيـدِ ، مـنْ نَظَـرٍ تـؤوبُ[6]

---

(١) المراد بـ« هنا » : هذه الدنيا . والقطين : الساكن والمقيم
(٢) تمنطق : شد وسطه بالمنطقة .
(٣) الدرب : الطريق .
(٤) الصليب : من معاني الصليب العود الذي يصلب عليه من يقتل .
(٥) الجوسق : القصر .
(٦) الصيد : اسم من صاد وبمعنى ما يصيد .

الذاتية

بنـورِ الكبـريـاءِ لهـا اشتعـالْ ومـنْ نَقْـصٍ لَهـا كُـلُّ الكَمَـالْ
مقـامـاتُ الـوِصَـالِ لَهـا فِـرَاقٌ كَمـا أَنَّ الفِـرَاقَ لَهَـا وِصَـالْ

* * *

ومِـنْ جَـدَلٍ لقـومٍ أنْ يُـريحُـوا ليـزهِـرَ عنـدهـمْ أملٌ نَجِيـحُ[1]
بـدتْ ذاتيـةٌ سيفـاً حُسَـامَـا ويُعـرفُ حـدُّهُ لـونٌ وريـحُ

* * *

وجُـودُ اللهِ أكسَبَهـا الـوجـودَا فَكَـانَـتْ مَظْهـراً جَـازَ الحـدُودَا
أرَاهَـا جَـوْهـراً مـنْ جَـوْفِ بحـرٍ سـواهُ بمثْلِـهِ مـنْ لَـنْ يَجُـودَا
وطِيـنٌ حِينَمـا يـرضـاهُ قلـبُ يفطِّـره لطيـبِ النـومِ حُـبُّ
ومِـنْ نـومٍ بخَلْـقِ (أنَـا) سيصْحُـو بجسـمٍ حيـنَ يحكمُهـاسيخْبُـو

* * *

لنـا وصـلُ فِـرَاقٍ فيـهِ يظْهَـرْ وهـذي عقـدةٌ للحَـلِّ تنْظَـرْ
تضيـعُ جـواهِـرٌ مـنْ حِضـنِ بحـرٍ وليـسَ لمـاءِ بحـرٍ مـا لجـوهَـرْ !

* * *

وَلِـي مـنْ بَـابِـهِ هَـذَا التُّـرَابُ ومـنْ صَـدْرٍ لـه زَهْـرٌ عُجَـابُ
ولَا أدْرِي (أنَـا) أوْ مَـا عَـدَاهَـا بِصَـدْرٍ مِنْـهُ تَحْـوينِـي رِحَـابُ[2]

* * *

---

(١) أراح : استراح . والنجيح : الذي تنجح أموره .
(٢) يقول : إنه لا يعرف (أنا) ولا (هو) ولكن يعرف أن (أنا) في صدر (هو) .

الجبرُ والاختِيارُ

سيوزَنُ كُلُّ شيءٍ يَوْمَ حَشْرِ ... لدَى الإنْسانِ مِنْ جُحرٍ وقَصْر
فَماذَا فِي غَدٍ يا لَيْتَ شِعْرِي ... أَيَرْضَى اللهُ عمَّا سوفَ يَجْرِي ؟

* * *

وَلي شَيْخٌ مِنَ الرهْبَانِ قَالَا ... كَلَامي ذَاكَ ألقِ إلَيهِ بَالَا
بتقْدِيرٍ لَكُمْ عمرٌ سيَفْنَى ... سنُقْتَلُ نحنُ بالتدْبيرِ طَالَا

* * *

الموت

لِرَبي قَالَ ذَا الموتُ المريدُ ... لعينٍ أصلُها طِينٌ جَمُودُ[1]
مِنَ الإنسانِ يخجَلُ قبضُ رُوحٍ ... أمِنْ مَوْتٍ له العارُ الجدِيدُ !

* * *

وأَيِّد فِيه مَنْ مَلَكَ الجِهَاتْ ... بمقْوَدِهِ يَقُودُ الكَائِنَاتْ
لِذُلِّ الموتِ مَا أُغْضِي حَيَاءً ... غريبٌ عنهُ نَاموسُ الحيَاة

* * *

إلى إبليسَ فلتنقلْ مَقَالِي ... إلَامَ لِيَ التملْمُلُ فِي العِقَالِ[2]
وَلِي دُنْيَا الثرَى لا أرْتَضِيهَا ... فَفِيهَا الصبحُ مَهْدٌ للَّيَالِي

---

(١) جمود العين : انقطاع دمعها .

(٢) المقال : القول . التململ : التقلب على الفراش من هم أو مرض .

ـا أخـرجُـوا الـدنيَـا إلَيْنَـا ضَمِيـراً خـامِـداً فِيهـا رَأَيْنَـا
ـرِ الـروحِ أيـنَ لَنـا لهِيـبٌ لقَـدْ خَلَقُـوكَ مِـنْ نَـارٍ لَـدَيْنَـا

* * *

اقٌ يجعَـلُ الشـوقَ البَصِيـرَا بعمـقِ البحـثِ يجعلُـه الجـدِيـرَا
نْ كَيـفَ حـالـكَ لسـتُ أدْرِي وطيـنٌ قـالَ لِـي« كَـانَ الخبِيـرَا »

* * *

طَـرَدُوكَ يـا مَـنْ لَـنْ يُعَـادَا لَـكَ التفْكِيـرُ بَيْـنَ الخَلْـقِ زَادَا
ـتُ الـدهـرَ فِـي بَلْـوَى عَـذَابِـي فقَلبـي فيـهِ كـمْ زَرَعُـوا القَتَـادَا[1]
ـاً مِـزْتُ مـنْ غَيـرِ المصِيـبِ عدِمْتُ النبتَ فِي حَقْلي الجدِيبِ[2]
مْ تَسجـدْ فمـنْ ألـمٍ تقـاسِـي أَخَـذْتُ إلَيْـكَ مَـالـي مِـنْ ذُنـوبِ

* * *

الَ النـردَ فـي مـرَحٍ لنلعـبْ ودُنْيـانَـا لنحـرِقَهَـا فتعطَـبْ
ـرِ مـن هشيـمٍ كـانَ فيهَـا لنصنـعْ جنَّـةَ الأفـلاكِ فـاعجَـبْ

* * *

إبليسُ الترابيّ وإبليسُ النَّارِيّ

ـادُ عصـرِنَـا أوْهَـى وأثْقَـلْ وأفـلاكٌ تشـاهـدُهُ فتخجَـلْ
ـسَ لـديـكَ للنظـراتِ ذوقٌ لتُخـدَمَ عنـدَ شيطـانٍ وتُحمَـلْ

* * *

القتاد : الشوك .

النبت : النبات .

ومَـنْ عينـاهُ والأذنـانِ سـارقْ ... تـرصَّـدْ فِي الظلامِ لسلْبِ خَافِقْ
وَكَـانَ السعـرُ فـي الأسـواقِ بخسـاً ... بفلسٍ تشتـرِي ذنبـاً ؟ تحـامِـقْ[1]

* * *

عجيـبُ السعـي شيطـانٌ عجيـبُ ... بِسِحْـرٍ للعمَـى عينـاً يصيـبُ
اسمَّـى ذلـكَ الشيطـانَ ميتـاً ... فمثلـكَ صيـدُهُ وهـوَ الطليـبُ[2]
لـهُ كـأسٌ بهـا سـمٌّ دَهَـاكَـا ... لقتـلِ الـروحِ ، جسـمٌ مَـا هُنَـاكَـا
لـكَ الحلقـاتُ تبـدِيهَـا شبـاكٌ ... ومَا شَاهَدْتَ فِي الحَبِّ الشبَاكَا !

* * *

هـوَى الإنسـانُ مِـنْ أَعْلَـى مقـامِ ... فضـاقَ مجـالـهُ عنـدَ ارتطـامِ[3]
بـلاَ طعـمٍ ولَا لـونٍ ذنـوبٌ ... وإبليـسُ لـه طبـعُ الأنـامِ[4]

* * *

ومـنْ شيطـانِ هـذا العصـرِ فـاحـذرْ ... خسيـسٌ مـنْ يضلِّلُـهُ ويسحَـرْ
أرَى إبليـسَ خيـراً مِنْـهُ حقَّـاً ... رَأى الـرحمـنَ فهـوَ بـذاكَ يفخَـرْ
لـه النـدُّ المغَـالِـبُ مِـنْ هُمـامٍ ... وبـالنيـرانِ يعلُـو فِـي المَقَـامِ
ومَـا كـلُّ التـرابِ رَمَـاهُ صيـداً ... وأعجـفَ أنْ يصيـدَ مـنَ الحـرامِ[5]

* * *

خسيـسُ الطبـعِ هـذَا ليـسَ يفهـمْ ... علينَـا القـولُ فيـهِ قـدْ تحتَّـمْ

---

(١) حامقه : ساعده على الحمق ، فكان بذل الثمن السخي في الذنب يعين الحمقى الذين يبيعون بالثمن القليل .
(٢) الطليب : الكثير الطلب .
(٣) الارتطام : الوقوع في الوحل .
(٤) الأنام : الناس .
(٥) الأعجف : الهزيل .

ـالسـةً بهـذَا العصـرِ جَـافَـى غيـورٌ وَهْـوَ طُـولُ العمْـرِ يـأْثَـمْ

***

إلى رُفقاء الطريق

ـالَ لقـومِنَـا أمـراً نـدَبِّـرْ لنكسـبْ إنَّ هـذا العيـش ميسـرْ
ـعِّـد فِـي مَسَـاجـدِنَـا أنِينَـاً علـى إحْـرَاقِ قلـبِ الشيـخِ يَقْـدِرْ

***

ـصقْـرٌ فِـي السمـواتِ القَلَنْـدَرْ لخفـقِ جناحـهِ ذو الثقـلِ أصغَـرْ[1]
ـي هـذا الفضـاءِ لـه مَصَـادٌ بعـشٌّ لـمْ يَطُـفْ فـالعُـشُّ أغبَـرْ

***

ـحـنُ « اللهِ » مـن روحِـي تـردَّدْ متـاع الكـون عثيـره تصعَّـدْ[2]
ـي فـي معـزَفِـي وَتـرٌ بنـارِ تقطَّـع ، يـا لـه دمعِـي المبـدَّدْ

***

ـقـت كـدمعـة سـالـت فطـره إلـى عيـنٍ وصلـتُ بفضْـلِ طَفْـرَه[3]

---

1) في القرن الثامن الهجري أنشأ من يدعى قلندر الأندلسي فرقة دينية من مبادئها طهارة القلب وقطع الإنسان ما بينه وبين دنياه من أسباب رغبة عنها وزهداً فيها ، ودوام الترحال . وكانوا يحلقون شعورهم ولحاهم وشواربهم وحواجبهم إمعاناً منهم في تشويه مظهرهم ، ورغبة في أن يعلنوا على الملأ أنهم لا يبالون إلا بما بينهم وبين ربهم ولا يكترثون بما يشاهد الناس من ظاهرهم . ويريد إقبال بالقلندر من تخلى عن دنياه وكان اهتمامه ببواطن الأمور لا ظواهرها .

2) العثير : الغبار .

3) الطفرة : الوثبة .

ولي إشراقةٌ فِي الهدْبِ تَبْدُو عَلى هذا الهشيمِ نَثرتُ قَطْرَه[1]
ولَمْ يَفِ منطقٌ لِي بِالمرَامِ دَليلٌ فيهِ خُلْوٌ منْ تمامِ
سيفتحُ كلُّ بابٍ أوْصَدُوه ببيتٍ قالهُ الرُّومي وجَامِي[2]

* * *

تعالَ إليكَ منِّي بنتُ حَانِ تثيرُ الروحَ فِي طينِ الدِّنَانِ[3]
ومنْ قارورَتِي فلتسقِ غصْناً لتشهدَ فيه إنساناً يرانِي[4]

* * *

بكفِّي معزَفي شِعري يغنِّي أنينٌ فيهِ منْ لونٍ ولونِ
عليهِ بمخلبِ الآسادِ عزْفي به الأوتارَ من وجهِ المجنِّ[5]
لكِسرَى العصرِ عنِّي القولُ ينقلْ « كفرهادٍ لدى الفأسِ تحمَّلْ ؟
بصدْرِي شوكةٌ أدمتهُ وَخزاً لقلبِ الطودِ منهَا السيفُ يعمَلْ »

* * *

فقيرٌ نظرةٌ لي كلُّ مَالِي هشيمٌ ما لصحبِي من جِبَالِ
على البازِي أفضَّلُ زَاغَ ميتٍ ولو ربَّاهُ كِسْرَى في الدَّلالِ[6]

---

(١) الهشيم : النبات اليابس المتكسر .
(٢) راجع ما مضى عن جلال الدين الرومي ، وجامي .
(٣) الدنان : جمع دن وهو جرة الخمر .
(٤) يقول : إذا سقيت غصناً من خمري أصبح هذا الغصن إنساناً .
(٥) المجن : الترس . وفي الأصل أن أوتاره من عروق الحجر .
(٦) الزاغ : الغراب . والإشارة هنا إلى جوارح الطير التي تأكل جثث الموتى . ولتفسير ذلك نقول : إن المجوس لا يدفنون جثث موتاهم في الأرض التي يعتقدون أنها من خلق إله الخير ويحرم تنجيسها . فهم يضعون جثة الميت عل منصة عالية ويعرضونها لجوارح الطير حتى تأكلها . أما ما تبقى من عظامها فيلقون به في البئر . =

ـي قـطُّ مـا أوصـدتُ بـابـا ولا قَـاطَعْـتُ أهـلاً أو صحَـابَـا
ـتُ بمجلسِي فـي عقـرِ صَـدْرِي فجـزتُ بمجلسِي هـذَا السحَـابَـا[1]
ـمـتُ بـروضـةِ عـزِّي وَجَـاهِـي نصيبِـي أيُّ شـيءٍ كَـيْ أُبَـاهِـي ؟
ـاحبُهَـا يسمينِـي وقَـاحـاً بعيـنِ نـرجسٍ جـذَبَ انتبـاهِـي[2]

* * *

علمَـاءِ فِـي الحفْـلِ المـزيـنِ كـلامٌ رقَّ مثـلُ اليـاسمِيـنِ
ـنْ منَ رأَى فِي الروضِ شوكاً لوصفِ الروضِ بالقولِ اليقِينِ ؟

* * *

ـم أو بِفـنٍّ مـا اهتمـامِـي مقـامٌ آخـرُ فيـهِ كَـلامِـي
ـيـف الـركـبِ يجعلُـهُ لهِيبِـي خفيـفَ الخطـوِ يعـدُو فـي الأمَـامِ
سبُنِـي لفجْـرٍ عنـدَلِيبَـا وحسبـي الـروضَ أفعمُـه نحِيبَـا
ـكْ بـي تجـدْ مِفْتَـاحَ روضٍ بعُشِّـي كنـتَ تخشَـى أن يغيبَـا

* * *

ـي الـدنيَـا لعينـيَّ الممَـرُّ رفيـقٌ ليـس لِـي والكـلُّ سَفْـرُ[3]
ـارَى مـنْ قـويـبٍ كـانَ خيـراً غـريـبٌ وهـوَ لِـي هـمٌ وشَـرُ

* * *

ـي عـدمٍ تعلَّـمْ كيـف تَحيَـا وزدْ ذَاتـاً مـنْ التقـديـرِ هيَّـا

والمراد بالبازي هنا : ذلك البازي الذي يربيه الملوك في قصورهم لاستخدامه في صيدهم .

قبع : أدخل رأسه في فتحة ثوبه . وعقر البيت : وسطه .

الوقاح : الوقح .

السفر : المسافرون .

وفي أعماقِ أنغامِي تقلبْ ... ببحْرِي لؤلؤ فاسكنْ مليًّا[1]
وتربيبِي بتلكَ الأرضِ كانَا ... ولكنْ أجتويها لِي مَكانَا[2]
نبَتُّ بهَا بفيضٍ من نَداهَا ... سماءٌ لِي أَشهدُهَا عيانَا

* * *

إلى نفسِ الرجالِ كنِ القَرِيبَا ... لهم أنفاسهم تحيي القلوبا
شكاةَ الذَّاتِ همُّهمُ يجَافِي ... فما عنْ ذاتِه كانَ الغرِيبَا

* * *

لتخلقَ نظرةٌ والروحَ أبصِرْ ... تجد زهراً بغصنٍ غيرَ مزهِرْ
وإلَّا فلتكُنْ سهماً لقوسٍ ... ومنْ يرْمِي له هدَفاً يُقَدَّرْ[3]
تغرَّبَ عقلُنَا ذَا عنْ يقِينٍ ... بدَا كمقامرِ العلمِ المشِينِ[4]
جهولٌ كانَ خيراً منْ حَكِيمٍ ... بنظرَتِه إلى الحقِّ المبِينِ

* * *

ومنْ ذَهَبٍ ودُرٍّ ما المرامْ ... ومَا سرجُ المطهَّمِ والغلامْ[5]
منَ الدارَيْنِ شيءٌ لا يرَجَّى ... وذاكَ لمالِ ذِي الفضلِ القوَامْ

* * *

وسكْرُ أنا لتلكَ الذاتِ عقْلْ ... وإنَّ الصمتَ في حَانِي لِفضْلْ
شرَابِي ما صَفَا ، لكنْ ترشَّفْ ... ففِي يومٍ مضَى للدَّنِّ بَزْلْ[6]

---

(١) ملياً : زماناً طويلاً .
(٢) التربيب : التربية .
(٣) يشبهه بالسهم الذي يحدد راميه الهدف ولا يحدد هو هدفه بنفسه .
(٤) المشين : المعيب .
(٥) الجواد المطهم : التام الحسن .
(٦) بزل الدن : ثقبه لأخذ الخمر منه .

ـكَ بخـرْقـةٍ أو فِـي نصِيـبِ ومنْ ذَاتِي وَجَدْتُ شذَا الحبِيبِ[1]
يَّ المـالُ مِـنْ خَشَـبٍ لِنَـاءٍ وليـسَ لمنبـرٍ أوْ للصليـبِ[2]

* * *

ـرْآةِ لـذاتِـي قَـدْ بَصُـرْتُ بصَـدْرِي خُلْـوةٌ فِيهَـا قَـرَرْتُ
نَ العميـانِ فِـي عِلْـمٍ وَفَـنٍّ ببلبَـالٍ قـدِيـمٍ لِـي فـرَرتُ

* * *

ـي حَـانَ عـنْ هـذَا التـرَابِ فقَالَ الكلُّ « كانَ منَ الصحابِ »
نْ هـذا المسـافـرُ ليـتَ شِعْـرِي ومَـنْ قـدْ خُـصَّ بـالقـولِ العجَـابِ
ـمُ القلـبِ رَقْـرَاقُ الضَّميـرِ أميـرٌ وَهـوَ يُعـرَفُ بـالفقِيـرِ
ـسَ لمعـدمٍ دينـاً وعلمـاً قبـاءٌ بـلْ لـهُ سـرجُ الحـرِيـرِ

* * *

ـمْ أنـتَ تَسجُـدُ أو لـدَارَا فَـلاَ تُلحِـقْ ببيـتِ اللهِ عَـارَا[3]
تطلـبْ إلـى الغـرْبِـيِّ شيئـاً بقلبِـكَ حطِّـمِ الصنـمَ المعَـارَا

* * *

ـبِـي طـافَ مِـنْ شيـخٍ كبِيـرِ لـهُ عقْـلٌ وإشـرَاقُ الضَّمِيـرِ
ـرٌ إنْ يصُـنْ بـالفقْـرِ ذاتـاً فملـكُ العـالميـنَ لـذَا الفقِيـرِ »
ـي حـرْفَيـنِ هـذَا السـرُّ يستَـرْ مَقَـامَ العشْـقِ لاَ إِبْـدُو كمنبَـرْ
ـرَاهِيـمُ نمـرُوداً أيخشَـى لعـودٍ نفحـةٌ بـالنـارِ تنشَـرْ

* * *

الخرقة : الثوب الخشن البالي الذي يلبسه الصوفي .

الصليب : من معانيه العود يصلب عليه من يقتل .

جم : هو الملك جمشيد من ملوك الأساطير عند الفرس وهو مذكور بعظمة الملك .

ألَا يـا زهْـرُ مـا طلـبُ العـزاءِ ؟ بـذَاتـكَ فـالْتَـزِمْ خـلَّ الـوفَـاءِ
وصـــدرَكَ افْتَحَـــنَّ لكـــلِّ ريـــحٍ وصنْ وَسْماً قدِيماً فِي الخفَاءِ[1]

* * *

يـدوِّي النصْـحُ فِـي سمعِـي دوِيَّـا « بـرُوحِـكَ وحـدَهَـا عِـشْ يـا بنَيَّـا
لتحـذرْ مـنْ أضَـاعَ الـروحَ رهْنَـاً بجسـمٍ لا بـروحٍ وهـوَ يحيَـا »
لشـطٌّ قـالَ مـوجٌ وهـو يهـدُرْ بفِـرعُـونيـةٍ ذَاتِـيَ أقـدِرْ
عَلَـى ذَاتِـي التفَـافِـي مِثْـلُ أفْعَـى وأرقُـصُ بـانتظـارٍ فيـهِ أصبِـرْ

* * *

بجَـاهِ الغـرْبِ إنْ كنْـتُ القمِينَـا علـى عتبَـاتِـهِ عَفِّـرْ جَبِينَـا[2]
أدِرْ لعصـاهُ عنـدَ الضـرْبِ ظَهْـرَاً كَعِيـرٍ سيـقَ فلتكُـن المهِينَـا ![3]

* * *

وأيـن فـؤادُهُ طـوعَ اليمِيـنْ خـلاءٌ ملكُـهُ مـنْ كِـلِّ دِيـنْ[4]
شيـاطيـنٌ تطـوفُ لـهُ ببَيـتٍ وتُـوحِـشُ غيبـةُ الـرُّوحُ الأمِيـنْ[5]
ومـنْ قَلْـبٍ ومِـنْ ديـنٍ يئِسْنَـا كعِطْـرِ الـوردِ مـن أصـلٍ هـربْنَـا
ومـاتَ الـديـنُ مـن مـوتٍ لقلْـبٍ لنـا مـوتَيـنِ نحـنُ قَـد اشتَـرَيْنَـا !

* * *

حنيـفٌ كَـانَ يعـرفُ قـدْرَ دِيـنٍ لـرَبِّـي منـهُ تعفِيـرُ الجبِيـنِ
بَمـا لا يشتَهـي الأفْـلَاكُ دَارَتْ أدَارَ الأرْضَ منـهُ بـاليمِيـنِ

---

(١) الوسم : أثر الكي .
(٢) القمين : الجدير .
(٣) العير : الحمار .
(٤) يريد الرجل من الفرنجة .
(٥) الروح الأمين : سيدنا جبريل .

نْ دُنْيَا لنَا قلبٌ غَرِيبُ ... لهُ الأيَّامُ منْ فَلَكِ نَصِيبُ[1]
لاةَ العشْقِ مَيِّزْهَا بوقتٍ ... فلَيسَ لهَا المؤذِّنُ والخَطِيبُ
امُ العشْقِ يفعَمُهُ اليقِينْ ... يقِيناً يصحَبُ الروحَ الأمِينْ
حصَلتَ منْ هذَا نصِيباً ... فَسِرْ قُدُماً ، فما اعتَرضَ الكَمِينْ

* * *

رْفَانٌ وإدْرَاكٌ لمسلِمْ ... وعيَنيهِ « بِلَولا » الذات يفْعَمْ[2]
ا رَبِّي سمُوّاً عن قياسِ ... بقائلٍ « ما عرَفْنَا » النفْسَ أكْرَمْ[3]

* * *

نَامَ الفرنجَةِ ما عبدتَا ... بمعَبدِهِمْ فبِئْسَ الموتُ متَّا
لُكَ كانَ عن قلبٍ غَرِيباً ... فما بسَلافِ من سَلَفُوا سكِرْتَا[4]
لُّ الناسِ منْ نفْساً يُسِيلْ ... ومِنْ سُكْرِ التدَلُّلِ منْ يمَيلْ
اءٌ « لا إله » به دماءْ ... على قدِّ الخِسَاسِ هوَ الطَّويلْ

* * *

رِقُ مؤْمِناً حَرُّ الوقِيدْ ... منَ الأبوابِ يفتَحُ ما يريدْ[5]
لَالُ الكبرياءِ لهُ قيامٌ ... جمالُ الصبْرِ يظهرُه السُّجودْ

* * *

ألُ عن صَلاةِ العاشِقينَا ... وفِيهَا خُفْيةً همْ ساجِدُونَا
« الله أكبر » مثلَ نارٍ ... أفِي خمسٍ بدَتْ للنَّاظِرِينَا

---

(1) يريد ليقول إن القلب الغريب الطبع ليس من دنيانا .
(2) التلميح إلى (لولاك لما خلقت الأفلاك) هكذا في الأصل .
(3) الإشارة إلى (ما عرفناك حق معرفتك) هكذا في الأصل .
(4) السلاف : الخمر .
(5) الوقيد : الوقود .

نِـــدَاءُ العَـــالمِيـــنَ بهَـــا يـــدُومُ ومِنهَـــا مُسلـــمٌ خلـــداً يَـــرُومُ
صـريـعُ العصـرِ فينَـا ليـسَ يـدرِي قِيـامَـاتِ « لقـدْ قَـامـتْ » تَقُـومُ

* * *

رَأَى متَفَـــــرْنِـــــجٌ للهِ حُكْمَـــــا فيـرزقُ وهـو يطلُـبُ منـه دَوْمَـا
علـى الشيطـانِ أغـدقَ أَي رِزقٍ ! إلـى أنْ حـارَ فيـهِ الله يـومَـا

* * *

وفِـي قَـوْلـي لِـمَ الإسهـابُ كَـانَـا أقُـولُ الحـرفَ عـنْ سـرٍّ أبَـانَـا[1]
وعـالمـهُ لمتجـريـن أعْطَـى مَكَـانَ كَيْـفَ يـدْرِي الـلَّامَكـانَـا
لمـنْ تصْفُـو قُلُـوبُهُـمُ نَعِيـمُ وَآخَـرُ فِيـهِ ذُو هِمَـمٍ يُقِيـمُ
فبلِّـغْ مُسْلِمـاً فِـي الهنـدِ بُشْـرَى « نَعِيمـاً فـي سبيـلِ اللهِ شيمُـوا »[2]

* * *

إلـى التقـريـرِ مَـا مـالَ القلنـدَرْ كـأكسيـرٍ لـه رأيٌ يقـدَّرْ
وهـذَا الحقْـلُ أقفَـر مـنْ حصَـادٍ فمـا يـروي ثـراهُ دمٌ لشبّـرْ[3]

* * *

---

(١) أبان عنه : فسره .
(٢) شيموا : انظروا .
(٣) الحصاد . الزرع . شبر : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .

القسم الرابع

قَصَـــائد

(١) من هُنا القسم الرابع والخامس لهذا الديوان نقلها من الأردوية إلى العربية نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم .

قلزمِ ما ایں چنیں گوہر نزاد
ہیچ مادر ایں چنیں دُختر نزاد!

خاکِ لاہور از مزارش آسماں
کس نداند رازِ اُو را در جہاں!

نہ ہو جلال تو حسن و جمال بے تاثیر
نرا نفس ہے اگر نغمہ ہو نہ آتشناک

برلمانُ إبليس

هذه قصيدةٌ بديعةٌ لمحمد إقبال ، وصف فيها وصوَّر جلسةً برلمانيةً ، سرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها جاهاتِ والحركاتِ والمذاهبَ السياسيةَ العصريةَ التي تهدِّدُ مهمَّتهم في العالم حبطُ مساعيهم ، أو تعرقلُ سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ، ووجهاتِ نظرهم ، رأسَ هذه الجلسة ، وأشرف عليها « إبليس » فحكمَ على هذه الآراءِ دراساتِ ، وعارضَ أكثرها في ضوء تجارِبه الواسعة ، وبُعْدِ نظره الذي يشاركه فيه أحد من تلاميذه ، وأدلى برأيه الحصيفِ المؤسَّس على الدراسة سعة العميقة ، وهو يتلخَّص في : أنَّ المسلم هو المنافسُ الوحيدُ ، مصارعُ الكفءُ لنظامه ، وهو الشرارةُ التي تتحوَّل ناراً بسرعة ، فالمصلحةُ رأي أن يركِّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربةِ هذا العدو ، أو إلهائه ويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة من الوصف الصَّادقِ الدقيقِ للمسلم ، ومن لاحظات الصَّائبة الدَّقيقة عن كثيرٍ من المذاهب السياسية وزعمائها ما يفيدُ طلاعُ عليه ، وإليك محضر الجلسة :

« إنَّ الشياطينَ وزملاءَ إبليس وأعوانَه اجتمعوا في مجلسِ شورى ، وتباحثوا سيرِ العالم ، وأخطار الغدِ ، وفتنه ، وما يتوجَّسون من خيفةٍ على نظامهم ليسي ، ومهمَّتهم الشيطانية ، فتذاكروا في فتنٍ وأخطارٍ قد أحدقت بهم ، دَّدت نظامهم ، وجلَّلوا خطبها ، وتناذروا شرَّها ، فذكرَ أحدُهم جمهورية » وحسب لها حساباً كبيراً ، فقال الثاني : لا يهولنَّك أمرُها ، فإنَّها ت إلا غطاءً للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري ؛ إذ

رأينا الإنسانَ بدأ ينتبهُ ويفيقُ ، ويشعرُ بكرامته ، وخفنا ثورةً على نظامنا قد لا تُحْمدُ عاقبتُها ألهيناه بلعبةِ الجمهورية ، وليس الشأن في الأمير والملك ، إنَّ الملوكية لا تنحصر في وجودِ شخصٍ ترتكز فيه الملوكية ، وفردٍ يستبدُّ بالسلطان ، إنَّما الملوكية أن يعيشَ الإنسانُ عيالًا على غيره ، مستشرفاً إلى متاع غيره ، سواءٌ في ذلك الشعبُ والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهوري ، وجهُه مشرقٌ وضَّاحٌ ، وباطنُه أظلم من باطن جنكيزخان .

فقال الآخر : لا بأسَ إذا بقيت روحُ الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدَّهماء التي أثارها هذا اليهوديُّ الذي يُدعى « كارل ماركس » ذلك الباقعة الذي ليس نبياً ، ولكنَّه يحملُ عند أتباعه كتاباً مقدساً ، هل عندك نبأ أنَّه أقام العالم وأقعده ، وأثار العبيد على السَّادة ، حتى تزعزعت مباني الإمارة والسِّيادة ؟ .

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس : يا صاحبَ الفخامة ! إنَّ سحرة أوربة ، وإن كانوا مريديكَ المخلصين ، ولكنَّ لم أعد أثق بفراستهم ، هاهو السامريُّ اليهوديُّ الذي هو نسخة من « مزدك » (الزعيم الفارسي الاشتراكي) ، قد كاد يأتي على العالم بقواعده ، فاستنسرَ البُغاث ، وأصبحَ الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ، ويدفعونهم بالرَّاح (أعلامُ أرضٍ جُعِلَتْ بطائحاً) إنا قد استهنَّا بخطب هذه الحركة الاشتراكية ، وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرُّها ، وهاهي الأرضُ ترتجفُ بهولِ فتنة الغد ، يا سيدي ! إنَّ العالمَ الذي كنتَ تحكمه سينقضُّ عليك ، وينقلبُ نظامُ العالم ظهراً لبطن .

فتكلم رئيسُ المجلسِ « إبليس » وقال : إنِّي أملك زمام العالم ، وأتصرَّف به كيف أشاء ، وسيرى العالمُ عجباً إذا حرَّشت بين الأمم ، فتهارشت الكلابُ ، وافترسَ بعضُها بعضاً فِعْلَ الذئاب ، وإذا هَمَسْتُ في آذان القادة السياسيين ، وأساقفةِ الكنائس الروحانيين فقدوا رُشدَهم ، وجُنَّ جنونُهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية ، فكونوا على ثقةٍ أنَّ الخَرْقَ الذي أحدثته

طرة بين الإنسان والإنسان لا يرفؤه المنطقُ المزدكي (يعني الفلسفة الاشتراكية) يخوِّفني هؤلاء الاشتراكيون الطرداء ، والصعاليكُ السُّفهاء .

إنْ كنتُ خائفاً ، فإنِّي أخافُ أمةً لا تزال شرارةُ الحياةِ والطموحِ كامنةً في ادها ، ولا يزالُ فيها رجالٌ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيلُ دموعُهم ى خدودهم سَحَراً ، لا يخفى على الخبير المتفرِّس : أنَّ الإسلام هو فتنةُ الغد ، اهيةُ المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهلُ أنَّ هذه الأمَّة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنَّها فُتِنتْ بالمال ، غِفَتْ بجمعه ، وادخاره ، كغيرها من الأمم ، أنا خبيرٌ بأنَّ ليل الشرق داجٍ فهرٌ ، وأنَّ علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق ا الظلماتُ ويضيءُ لها العالمُ ، ولكنِّي أخاف أنَّ قوارعَ هذا العصر وهزَّاتِه قضُّ مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة ، وتوجهها إلى شريعة محمد (ﷺ) ، وإنِّي ذِّركم وأنذرُكم من دين محمد (ﷺ) ، حامي الذِّمار ، حارسِ الذِّمم لأعراض ، دينِ الكرامة والشَّرف ، دينِ الأمانة والعفاف ، دين المروءة ، بطولة ، دينِ الكفاح والجهاد ، يلغي كلَّ نوع من أنواع الرِّقِّ ، ويمحو كلَّ أثرٍ ى آثار استعباد الإنسان ، لا يفرِّقُ بين مالكٍ ومملوك ، ولا يؤثرُ سلطاناً على علوك ، يزكِّي المال من كلِّ دنسٍ ورجس ، ويجعله نقياً صافياً ، ويجعلُ حابَ الثروة والملاَّك مستخلَفين في أموالهم ، أمناءَ الله ، وكلاءَ على موال ، وأيُّ ثورةٍ أعظمُ ، وأيُّ انقلابٍ أشدُّ خطراً مما أحدثه هذا الدِّينُ في عالم كر والعمل ، يومَ صرخَ : إنَّ الأرض لله لا للملوك والسَّلاطين .

فابذلوا جهدكم أنْ يظلَّ هذا الدِّينُ متوارياً عن أعينِ الناس ، وليهنكم أنَّ سلمَ بنفسه هو ضعيفُ الثقةِ بربِّه ، قليلُ الإيمان بدينه ، فخيرٌ لنا أنْ يظلَّ مشتغلاً سائل علم الكلام ، والإلهيات ، وتأويل كتاب الله ، والآيات ، اضربوا على ن المسلم ، فإنَّه يستطيع أن يكسرَ طلاسمَ العالم ، ويبطلَ سحرنا بأذانه كبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ، ويبطىءَ سَحَرُه ، اشغلوه يا إخوتي !

عن الجدِّ والعمل ، حتى يخسرَ الرِّهان في العالم ، خيرٌ لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، ويهجرَ هذا العالمَ ، ويعتزلَه ، ويتنازلَ عنه لغيره زهداً فيه واستخفافاً لخطره ، يا ويلتنا ! ويا شقوتنا! لو انتبهتْ هذه الأمَّة ، التي يَعْزِمُ عليها دينها أن تراقب العالم وتعسَّه »[1] .

مؤامرة أنصار الباطل ضد المسلم :

وفعلاً نجحَ شياطينُ الإنس والجنِّ في مهمَّتهم ، وكانت مؤامرةٌ مبيتةٌ ضدَّ الإسلام ، وخطةٌ منظمةٌ ضدَّ أجياله القادمة ، فأكبر ما اهتموا به هو إطفاءُ الجمرةِ الإيمانيَّة ، التي لا تزال كامنةً في الرَّماد ، وتجريدُ المسلمين في بلاد العرب والعجم من الحَمِيَّة الدِّينية ، والعاطفة الإسلامية ، التي تحمل أصحابها على التضحيةِ والجهاد ، وتحمُّلِ الشدائدِ والمكاره في سبيل الله ، والثورةِ على الباطل ، وقد أوصى بذلك إبليسُ أشياعه وجنده ، يقول محمد إقبال في قصيدة عنوانها (وصية إبليس إلى تلاميذه السياسيين) :

« إنَّ المجاهدَ الذي يصبرُ على الجوع ، ولا يحسُب للموتِ حساباً ، أخرجوا روحَ محمد (ﷺ) من جسمه ، فيصبحُ قليلَ الصَّبر ، جزوعاً من الفقر ، شديدَ الخوف من الموت ، وأشغلوا العرب بالأفكار الغربيَّة ، وانتزعوا من أهل الحرم تراثَهم الدينيَّ تتمكَّنون بذلك من إجلاء الإسلام من الحجازِ واليمن ، إنَّ في الأفغان غيرةً دينية ، وعلاجُها أن يُقصى العَالِمُ الدِّينيُّ من جبالها وسهولها » .

وكان من أقرب الطُّرق للوصول إلى هذا الهدف هو التعليمُ الذي يجرِّد الشباب المسلم من الروح الدِّيني والعواطف الإسلاميَّة والعقلية الإسلاميَّة ، وينشىءُ فيه طبيعةَ النفعية والأبيقورية ، وطبيعةَ التهام الحياة ، وانتهابِ

---

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٦م ، كما هو مكتوب تحت عنوان القصيدة في الأصل .

سرَّات ، وتقديسَ المادَّة ورجالها ، وعدمَ الاستقامة الخلقية والتماسك ، عفَ الثقة بالنفس ، والشكَّ في الدِّين ، لذلك يرى شاعرٌ هنديٌّ آخر اسمه : ر الإله آبادي : أنَّ فرعون مصر أخطأ الرمية ، وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة ضاء على بني إسرائيل ، فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرقٍ سافرةٍ ألصقت لعار ، وأثارتْ عليه اللَّعناتِ ، فكان يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ليأمن ة بني إسرائيل ، وغائلتهم في المستقبل ، ولو أنَّه رُزِقَ شيئاً من الابتكار ، دِ النظر ، ودقَّةِ التفكير ، لاكتفى بتأسيس كليةٍ لبني إسرائيل ، ينشىءُ الجيل سرائيليَّ الجديدَ كما يشاء ، ويسبكُ العقول والطبائع سبكاً جديداً ؛ لا يدع ناً لنشأة شاب مثقف يشعر الشعور الدِّينيَّ ، ويحمل العاطفة الدينية ، والغيرة رمية ، ويهتم بشيءٍ آخر غير الوظائف ، والمناصب ، والمرتبات ، درجات ، لو أنَّ فرعون وُفِّقَ لهذا المشروع لتفادى هذه المتاعب ، وسوءَ حدوثة ، ووصلَ إلى غايته في سهولةٍ ويسرٍ ، وهدوءٍ وسلام ، وزيادةً على ث اشتهرَ في الناس بلقب « حاميِ العلم » و« مربي الجيل » وناشرِ الثقافة علِيم في الشعب .

ح أنصار الباطل في إضعاف الروح الديني :

ويرى محمد إقبال أن أنصارَ الباطل قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم ، هودهم ، فَضعُفَ الشعورُ الدينيُّ في بلاد الإسلام ، وَخَمَدَتْ جذوةُ مان ، وفقدت البطولةُ الإسلاميَّةُ وروح الجهاد ، وَفَشَتِ النفعيةُ ، وجَمَحَتِ ادِّيةُ ، يقول الشاعر ؛ وقد ساح في كثيرٍ من البلاد الإسلامية والعربية : « **لقد زِلت في بلاد العرب والعجم ، فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيضُ بهم لاد ، والمتشبعين بروح محمد ﷺ كالكبريت الأحمر ، وعنقاء المغرب** » ، ول في قصيدةٍ قالها في فلسطين : « **لا أرى في بلاد العرب تلكَ اللَّوعة بية التي كان يمتاز بها العرب ، ولا في بلاد العجم ذلك السموَّ الفكريَّ الذي يمتازُ به العجم ، لا تزال دجلةُ والفراتُ متعطشين إلى بطلٍ من أبطال**

الإسلام ، ولكنّي لا أرى في قافلة الحجاز أحداً يقوم مقام الحسين » .

يشعرُ محمد إقبال بهذا التدهورِ الذي وقع في حياة المسلمين ، ويتألَّم لذلك أشدَّ الألم ، ويبكي دماً ، وشعره يفيض بهذه الأناتِ والدموع ، يقول في أبيات : « **يا وارثَ التوحيد الإسلاميِّ لقد فَقَدْتَ الكلامَ الجذابَ السَّاحر ، والعملَ المسخر القاهر ، لقد كنتَ يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحدٍ ارتعد فرقاً منك ، وطار قلبه شعاعاً ، وقد أصبحت اليوم كسائر الناس ، لا تحملُ روحاً ولا تجذبُ نفوساً** » . ويقول في موضعٍ آخر : « **إنَّ السجدة التي كانت تهتزُّ لها روحُ الأرض ، لقد طال عهدُ المحراب بها ، واشتاق إليها المسجد ، كما تشتاق الأرضُ الجديبة الخاشعة إلى المطر ، لم أسمعْ في مصر ، ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس** » . ويقول في بيتٍ : « **لقد فقد المسلمُ لوعةَ القلبِ ، وانطفأت نارُ الحياة فيه ، فأصبح ركامها من تراب** » . ويقول : « **لم أر في محيطكَ أيُّها المسلم لؤلؤةَ الحياة ، قد بحثتُ عنها موجةً موجة ، وتفقَّدْتها صدفةً صدفة** » .

ويرى محمد إقبال أنَّ مصدر هذا التدهور هو القلبُ الذي خوى من الإيمانِ وشعلةِ الحيـــاة ، يقول : « **لقد فقدَ المسلمون سَوْرَةَ الحبِّ الصادق ، ونَزَفَ منهم دمُ الحياة ، أصبحوا هيكلاً من عظام ، لا روحَ فيه ولا دم ، الصفوفُ زائغة ، والقلوبُ مضطربةٌ ، والسَّجدةُ لا لذَّة فيها ، ذلكَ لأنَّ القلب خالٍ من الحنان** » .

اليقظة الإسلامية :

هذا ، ولكنَّ محمَّد إقبال يعتقدُ أنَّ الصَّدماتِ السياسية التي أصيب بها العالم الإسلاميُّ أقضَّتْ مضجع المسلمين وأيقظتهم ، ودبَّ فيه دبيبُ الحياة ، يقول في قصيدته البليغة « طلوع الإسلام » : « **إذا رأيت النُّجومَ شاحبةً منكدرةً تخفق ؛ فاعلم أنَّ الفجر قريب ، هاهي الشمس قد ذرَّ قرنها من الأفق ، وولَّى الليلُ على أدباره ، إنَّ عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام ، فإنَّما تتكوَّن اللآلىء**

في البحر المتلاطم الهائج ، ولقد دبَّ دبيب الحياة في الشرق ، وجرى الدَّمُ الفائر في عروقه الميتة ، وذلك سرٌّ لا يفهمه ابنُ سينا ، والفارابي ، إنَّ المسلم سَيُمْنحُ من الله الأبهة التركية ، والذكاء الهندي ، والنطق العربي » ، ويقول في بيت : « إنَّ إقبالًا ليس يائساً من تربته الحقيرة ، فإنَّها إذا سقيت أتت بحاصلٍ كبير » .

المسلم هو باني العالم الجديد :

ويرى محمد إقبال أنَّ الحضارة الغربية قد مثَّلَتْ دورَها ، ونثرت كنانتها ، وقد شاخَتْ وهَرِمتْ ، وأينَعتْ كالفاكهةِ ، وحانَ قطافها ، وأنَّ العالمَ القديمَ الذي حوَّله مقامرو الغرب إلى حانةِ الفساد والمقامرة منهارٌ قريباً ، والإنسانية تتمخَّضُ بعالمٍ جديد ، ويعتقد محمد إقبال أنَّ هذا العالم الجديد لا يُحْسنُ تصميمَه إلا من بنى للإنسانيةِ البيتَ الحرامَ بالأمس ، ووَرِثَ إبراهيم ومحمداً ﷺ في قيادة العالم وإرشادِه ، فيهيبُ محمد إقبال بهذا المسلم النائم ، وينشدُه بالله أن يقومَ ويمسحَ النَّوم من عينيه ، فقد ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر ، وعاث الأوربيون في الأرض ، وأفسدوا فيها بعد إصلاحها ، وخرَّبوا العالم وملؤوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات ، وليست هذه الأرض إلا بيتاً من بيوتِ الله جعلها مسجداً وطهوراً ، وأذِنَ أن تُرفَعَ ويذكر فيها اسمه ، ولكنَّ الأوربيين قد حوَّلوها إلى خمارةٍ ، وبيتِ فسقٍ ودعارةٍ ، ومكانِ نهب وغارةٍ ، وقد آن لباني البيت الحرام وحاملِ رسالةِ الإسلام أن يقومَ ، ويُصْلِحَ ما أفسده الأوربيون ، ويعيد هذا البيتَ إلى قواعدِ إبراهيمَ ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم ، ويبني العالمَ من جديد[1] .

* * *

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ص٢٣٠ ـ ٢٣٣ نقلاً عن « روائع إقبال » للعلامة الندوي ، ص١١٤ ـ ١٢٣ ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

وإليك الآن هذه القصيدة المترجمة في النثر :

إبليس

١ ـ هذه الألاعيبُ القديمةُ للعناصرِ[١] ، وهذه الدُّنيا الوضيعة
كانت سبباً في قَتْلِ أمنياتِ ساكني العَرْشِ الأعظم[٢] .

٢ ـ الخالقُ الذي سمَّاها دنيا الكافِ والنون[٣]
مُتَهَيِّىءٌ اليومَ لتدميرِها .

٣ ـ عَرَضْتُ على الإفرنج حُلْمَ المُلوكيَّة
وحطَّمْتُ سِحْرَ المسجدِ والمعبدِ والكنيسة .

٤ ـ علَّمتُ الجهلاء درسَ القَدَر
وأعْطَيْتُ الغنيَّ جنونَ الرأسمالية .

٥ ـ منْ يستطيعُ أن يطفىء نارَه المتأججة[٤] .
إنَّ في هيجانها الحُرْقَةَ الإبليسيَّة .

٦ ـ أغصانُه[٥] تنمو وترتفعُ من ماءِ سُقيانا
فَمَنْ يستطيعُ أن يُنكِّسَ أغصانَ هذا النَّخلِ القديم ؟!

---

(١) أي : الإنسان والعناصر المكونة له ، وهي : الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار .
(٢) أي : الملائكة .
(٣) حيث قال تعالى ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .
(٤) يقصد نار الإنسان الذي يحمل الملكية ، وجنون الرأسمالية .
(٥) أي : أعماله ، وما يقوم به من أفعال .

المُستشارُ الأول

٧ ـ لا شكَّ أنَّ هذا النظام الإبليسيَّ مُحْكمٌ
ففي ظلِّه أَلِفَ الشَّعْبُ طَبْعَ العُبودية .

٨ ـ الخضوعُ والمذلَّة على جبينِ هؤلاءِ المساكين
فنظرتُهم تقتضي منهم صلاةً بلا قيام

٩ ـ لا تَنْبُتُ لديهم الأمنيةُ أساساً
فهي إنْ تَظْهَرْ تَمُتْ أو تَبْقَ كشيءٍ خاملٍ لا يَنْضَجُ أبداً .

١٠ ـ وهذه هي معجزةُ جهدِنا المتواصل
فاليومَ صار الصُّوفيُّ والملاَّ عبداً ـ بشكلٍ تامٍّ ـ للمَلكيَّة .

١١ ـ هذا الأفيونُ ـ الملكيَّةُ ـ كانَ مناسباً تماماً لِطَبْعِ الشَّرق .
مع أنَّ عِلْمَ الكلامِ ليس بأقلَّ من « الغناءِ الصُّوفي »[1] .

١٢ ـ لو بقِيَتْ لهم مناسكُ الحجِّ والطَّواف ، فلا ضَيْرَ
فإنَّ سيفَ المؤمنِ المسلولِ صارَ كالًّا .

١٣ ـ إنَّ هذا الأملَ الجديدَ بأنَّ الجهادَ حرامٌ على المسلم
دليلٌ على اليأس ؛ فَمَنْ ذا الذي أصابه اليأسُ ؟

المُستشارُ الثاني

١٤ ـ هَلْ غوغاءُ الحُكْمِ الجُمهوريِّ خيرٌ أم شرٌّ ؟
أنت لا تدري شيئاً عن الفتنِ الجديدةِ في العالم !

هو « القوالي » وهو ما يتغنَّى به الصُّوفيَّة .

المُستشار الأول

١٥ ـ نَعَمْ ، ولكن بصيرتي تخبرني :
لو تبقى المَلَكيةُ كالسِّتار فلا خطر !

١٦ ـ فحينَ صارَ الإنسانُ مدبِّراً ومفكِّراً إلى حدٍّ ما
ألبسْنا المَلَكية لباسَ الجُمهورية .

١٧ ـ شؤونُ الحُكْمِ شيءٌ آخر
لا يَنْحصرُ في وجودِ الأميرِ والسَّلْطَنَة .

١٨ ـ وسواءٌ يكونُ مجلسُ الأمَّة ـ أو يكونُ بلاط برويز
فالحقيقةُ أنَّ السلطانَ هو من تكون عيونُه على زَرْعِ الغَيْرِ .

١٩ ـ أمَا رأيتَ أنَّ النِّظامَ الجُمهوريَّ الغربيَّ
له وجهٌ مضيءٌ لكنَّهُ من الدَّاخل أحلكُ من جنكيز[١] .

المُستشارُ الثالث

٢٠ ـ روحُ السَّلطنة باديةٌ فأيُّ اضطرابٍ بعدَ ذلك
لكنْ ما هو الردُّ على شقاوةِ ذلكَ اليهوديِّ[٢] .

٢١ ـ هو الكليمُ بغير تجلٍّ ، هو المسيحُ بغيرِ صليب
« ليس رسولًا ولكنْ في حِضْنه كتاب » .

٢٢ ـ ماذا أقولُ ؟ كيف يكونُ نظرُ هذا الكافِر الذي يخترقُ السَّتائر ؟
هذا النَّظرُ صارَ كيومِ حسابٍ لأقْوامِ الشَّرق والغربِ .

---

(١) مثالٌ لظلم جنكيز وقهره ، ثم التعبير عن مدى ظلم النظام الجمهوري الغربي نفسه .
(٢) هو كارل ماركس .

٢٣ ـ لا يوجدُ للطبيعة فسادٌ أعظمُ من هذا
فقد حطَّم العبيدُ أطنبةَ خيامِ السَّادة .

المُستشار الرابع

٢٤ ـ انظرْ ردَّ هذه الشقاوة في إيواناتِ روما الكبرى[١]
فقد أعدنا على آلِ قَيْصَرَ حُلْمَ قيصرَ مرَّةً ثانية[٢] .

٢٥ ـ من الذي يتلوَّى بأمواجِ بحر الروم
ويرتفعُ أحياناً كالصَّنوبرِ ـ وأحياناً يبكي كالرَّباب ؟

المُستشار الثالث

٢٦ ـ الرَّجُلُ الذي فضح سياسةَ الإفرنج ، هكذا
لا أعترفُ أبداً بدرايتِه للأمور .

المُستشار الخامس
(يُخاطِب إبليس)

٢٧ ـ يا منْ أمورُ العالم قائمةٌ بأنفاسِك المحترقة !
أنتَ الذي أظهرْتَ كلَّ مختفٍ حينَ شِئْت .

٢٨ ـ صارَ الماءُ والطِّين من حرارتك عالماً مليئاً بالحُرقةِ والغِناء
وصارَ أبْلَهُ الجنةِ[٣] بتعليمكَ عالماً بالأمور .

---

(١) أي : الإمبراطورية الرُّومانية .
(٢) هذا هو ردُّ شقاوةِ اليهودي .
(٣) أبله الجنة : هو « آدم » .

٢٩ ـ هو ليس أعرفَ مِنْكَ بسرِّ الفِطْرة
ذلكَ الذي اشتهرَ بين العباد البسطاءِ باسم الرَّب .

٣٠ ـ أولئكَ الذين لم يكنْ لهم عملٌ سوى التقديسِ والتسبيحِ والطَّواف[١]
هم بسبب غَيْرَتِك سيبقون أذلَّاءَ خجلين إلى الأبد .

٣١ ـ ومع أنَّ سَحَرَة الإفرنج جميعاً من مريديك
لكنْ لا أعتمدُ على فراستهم .

٣٢ ـ ذلكَ اليهوديُّ[٢] المثيرُ للفتن الذي هو ظهورٌ لروح مَزْدَك
والذي كادَ كلُّ قباءٍ أنْ يكونَ فتّاناً بسببِ جنونه .

٣٣ ـ غرابُ الصَّحراء صارَ نِدّاً للشَّاهين والعُقاب
كيف يتغيَّر بسرعةٍ طبعُ الزَّمان[٣] .

٣٤ ـ إنَّ ما اعتقدناه قبضةَ غُبارٍ بسبب الجَهْلِ
انتشرَ فاغبرَّتْ سعةُ الأفلاك .

٣٥ ـ إنَّ هيبةَ فتنةِ الغدِ قد وصلت إلى درجةٍ أنَّ
الجبالَ والسهولَ والهضابَ والأنهارَ كلَّها تَرْتَعِد .

٣٦ ـ وهذا العالمُ الذي لم يكن يدارُ إلا بسيطرتِك
أوشكَ ـ يا مولايَ ! ـ أنْ يضطربَ فيصبحَ أعلاهُ سُفلاه .

---

(١) أي : الملائكة .
(٢) كارل ماركس .
(٣) الغراب لم يكن أبداً نِدّاً للعُقاب ، والمعروف أنَّه من أخسِّ الطيور ، وهو رمزُ الجاهل الخبيثِ النفس .

(إبليس إلى مشيريه)

٣٧ ـ عالمُ اللَّونِ والرائحة[١] هذا[٢] في قبضتي المتصرِّفة
سواءٌ هذه الأرض ، أو هذه السَّماءُ ، أو كلُّها جميعاً .

٣٨ ـ وسوفَ يرى أهلُ الشَّرقِ والغربِ بأعينِهمْ
حينَ أثيرُ دِماءَ أقوامِ أوربة .

٣٩ ـ ما قيمةُ أئمةِ السِّياسةِ ، وما قيمةُ شيوخِ الكنيسة
إنَّ صيحةً واحدةً منِّي تُذهِلُهم وتَذْهبُ بعقولهم .

٤٠ ـ الجاهلُ الَّذي يعتبرُ هذا العملَ بيتاً من الزُّجاج
عليهِ أنْ يحاولَ أنْ يحطِّم كأسَ وأباريقَ هذه المدنية .

٤١ ـ الجيوبُ الَّتي مزَّقتها يدُ الفِطْرة
أصبحَ منَ المُحالِ رَتْقُها بإبرةِ مَنْطِقِ مزدَك[٣] .

٤٢ ـ كيفَ يستطيعُ هؤلاءِ المتشرِّدون الاشتراكيُّون
أن يخيفوني ، المخبولون ، منفوشي الشعر ، مضطربي الأيام .

٤٣ ـ إنَّ ما بين جنباتي من خطرٍ ليس إلّا مِنْ هذه الأمَّة[٤]
ففي رمادِها حتى الآنَ شرارةُ الأمل .

٤٤ ـ فحتَّى الآنَ يوجدُ في هذه الأمَّة قليلٌ من النَّاس
يتوضَّؤون بدموعِ الأسحارِ .

أي : العالم المحسوس .
أصلها في النص « هو » .
جاء بعد زردشت ومَاني وادَّعى النبوة ، وهو أولُ من نادى بالاشتراكية الشيوعية .
الأمة الإسلاميَّة .

٤٥ ـ إنَّ منْ كُشفَ له باطنُ الأيامَ يعرفُ
أنَّ فتنةَ الغدِ ليست مَزْدَكيَّةً لكنَّها الإسلام .

(٢)

٤٦ ـ أعرفُ أنَّ هذه الأمَّة لا تَحْمِلُ القرآن
وأنَّ الرأسماليةَ هي دينُ العبدِ المؤمن .

٤٧ ـ أعْرِفُ أنَّه في ظلمةٍ دجا ليلُ الشَّرق
فإنَّ أكمامَ شيوخِ الحَرَمِ خاليةٌ من اليَدِ البيضاء[١] .

٤٨ ـ لكنَّ الخوفَ من مطالبِ العصرِ الحاضِر ،
ألا يَظْهَرَ شرعُ النَّبيِّ .

٤٩ ـ الحذرَ ، الحذرَ مِئَةَ مرَّةٍ بنظامِ الرَّسول فهو
حافظٌ لكرامةِ المرأة ، ومختَبِرُ المرءِ ، ويَخْلُقُ الرِّجال .

٥٠ ـ هذا النِّظامُ كرسالةِ الموت لكلِّ أنواع العبودية
ليس هناكَ فرقٌ بين مَلِكِ الصِّين ، أو فارسٍ ، أو مسكينٍ ذي مَتْرَبة .

٥١ ـ إنَّه يُطَهِّرُ الثروةَ ويخلِّيها مِنْ كلِّ قذارة
ويجعلُ الأغنياءَ أمناءَ على المالِ والثَّروة[٢] .

٥٢ ـ لا يوجدُ في الفِكْرِ والعَمَلِ ثورةٌ أعظمُ من :
« هذه الأرضُ لله وليست للملوك »[٣] .

٥٣ ـ يا حبذا لو يبقى هذا النظامُ مختفياً عن عينِ العالم

---

(١) إشارة إلى قصَّة موسى ، انظر [الشعراء : ٣٣] و[النَّحل : ١٢] و[القصص : ٣٢] .
(٢) إشارة إلى النظام الإسلامي .
(٣) له في جناح جبريل قطعةٌ بعنوان « الأرض لله » ، في القسم الثاني .

فهذا مغتنمٌ أن يبقى المؤمنُ محروماً من اليقين .

٥٤ ـ وهذا أحسنُ أن يبقى في شِرْكِ الإلهيات
ويبقى منهمكاً في تأويلاتِ كتابِ الله .

(٣)

٥٥ ـ الإنسانُ الَّذي حطَّمتْ تهليلاتُه سِحْرَ الجهاتِ السِّتِّ[١]
كيفَ لا يضيء الليلَ الحالكَ لهذا الوَرِعِ التَّقيِّ .

٥٦ ـ أماتَ ابنُ مريمَ ؟ أمْ هو حيٌّ باقٍ ؟ هذه صفاتُ ذاتِ الحقِّ
هَلْ صفاتُ الذاتِ منفصلةٌ عنه أمْ عَيْنُ الذَّاتِ ؟

٥٧ ـ هَلْ يَقْصِدُونَ بالقادمِ المسيحَ ابنَ مريمَ أمْ هُوَ المجددُ
الَّذي تكمُن فيه صفاتُ ابنِ مريمَ ؟

٥٨ ـ هَلْ ألفاظُ كتابِ الله قديمةٌ أم حادثةٌ ؟
وفي أيِّ عقيدةٍ منها تَكْمُنُ نجاةُ الأمَّةِ المَرْحُومَةِ ؟

٥٩ ـ ألا يكفي المسلمين في هذه الأيام
هذه الأصنامُ[٢] المنحوتةُ من الإلهيات ؟

٦٠ ـ اجعلوه غريباً عن عالم العَمَلِ لكي
تنهزمَ جميعُ قطعهِ الشَّطرنجيَّة على بساطِ الحياة .

٦١ ـ فهذا خيرٌ أنْ يبقى المؤمنُ عبداً حتى يومِ القيامة
ويتركَ هذه الدُّنيا الفانيةَ للآخرين .

يقصد : الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، والشرقية ، والفوقانية ، والتحتانية . ويمكن أن يكون المقصد منها أن تكون رمزاً للحواس الخمس ، والحس المشترك ، وأسير الحواس عند الصُّوفية هو إبليس .

في الأصل (اللات ومناة) .

٦٢ ـ الشِّعْرُ والتصوُّف اللذان يغطيانِ عن عُيونه مَنْظَرَ الحياة أحسنُ بالنِّسبةِ له .

٦٣ ـ إنِّي أخافُ مع كل نَفَسٍ منْ يقظةِ الأمَّة
فحقيقةُ دينها هي احتسابُ الكائنات .

٦٤ ـ أسْكِرُوه واجعلوه ينتشي بالذِّكر والتفكُّر في الأسحار وأنضِجُوا فيه طَبْعَ الخانقاهات .

* * *

نصيحة بَلُوش عجوز لابنهِ[١]

لِيُنْعِشْكَ هواءُ صحرائك
فليستْ دهلي ولا بخارى بأروع منْ هذه الصَّحراء .
إنَّك تستطيعُ أنْ تسيرَ كالسَّيلِ الجارِف حينما تريد
فهذا وادِينا وهذهِ صحراؤنا
الاعتزازُ بالنَّفس له قَدْرٌ عظيمٌ في دنيا الكَدِّ والجُهْدِ
فهو يُلبسُ الدرويشَ تاجَ دارا[٢] .
عليكَ أن تنالَ هذا الفنَّ الخفيَّ منْ كاملٍ ، إذ إنَّهم يقولون :
إنَّهم يستطيعونَ أن يجعلوا من الزُّجاج صخراً جلموداً .
إنَّ تقديرَ الأمم بيدِ الأفراد

---

(١) في الأصل : بلوج ، هو اسم لقبيلة تسكن منطقة بلوجستان في باكستان الغربية على الحدود بين إيران والسند وهي بلادٌ صحراوية ، وهم الذين كتب عنهم أولُ فاتحٍ إسلامي دخل في بلاد الهند ، فقال : إنَّهم أشداءُ أقوياء .

(٢) ملكٌ من ملوك إيران .

ومعَ كلِّ فردٍ نجمُ تقديرِ الأمَّة .
هذا الغوَّاصُ الَّذي لا يتركُ صُحْبَةَ السَّاحلِ
ظلَّ محروماً من ثورةِ البَحْرِ .

لو ضاعَ الدِّينُ من يدِ الأمَّة الحرَّة
فهذهِ التِّجارةُ خسارةٌ للمُسلم .

إنَّ العالَمَ يواجهُ معركةَ الرُّوح والجَسَدِ مرَّة ثانيةٍ
فإنَّ المدنية قد هيَّجتْ وحوشَهَا .

اللهُ يعتمدُ على ثباتِ المسلم
وإبليسُ يعتمدُ على آلات أوربة .

ما هو تقديرُ الأمم ، لا أحدٌ يستطيعُ أن يقول
لكنْ لو تجدُ فراسةَ المؤمن ، فالإشارةُ كافية .

اطلبِ الإخلاصَ في العمل من الأسلافِ القُدماء
أيُّ عَجَبٍ لو يعطفُ الملوكُ على الشَّحاذين !

الصُّورةُ والمصوِّر

الصورةُ :

قالتِ الصُّورةُ للمصوِّرِ :
سببُ ظهوري من إبداعِكَ وفنِّك[1] ،
كمْ منَ الظُّلم أنْ تكُونَ

---

(١) يوضح أنَّ الإنسان الذي يتخذ من صورته الحسية أساساً لإدراك حقيقة الخالق لا بدَّ من وقوعه في الخطأ لأنه سلك إلى ذلك العرفان سبيلاً خاطئاً ، وعلى الإنسان أن يتحرَّر من سيطرة الحواسّ قبل انطلاقه إلى الحديث عن الخالق .

محجوباً عن نظري .

المصوِّر :

صَعْبٌ على الإنسانِ البصيرِ أنْ تكونَ له عينٌ تنظرُ
ماذا حلَّ بالشَّررِ من رؤيةِ العالَمِ .

فلتقتنعي أيَّتُها الجاهلةُ بهذا الخبر ـ إنَّ النظر ليس إلا
الغمَّ والألمَ والحميَّةَ والنَّشاط .

الصُّورة :

الخبرُ عجزُ العَقْلِ والفِكْرِ
النَّظرُ حياةُ القلبِ الخالدة

ليس جدُّ وجُهْدُ هذا الزَّمانِ
لائقاً بحديثِ ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾

المصوِّر :

أنتِ من روائعِ فنِّي
ولذلكَ فلا تيأسي من مُبْدِعِكِ .

ليسَ هناك شرطٌ لرؤيتي
سوى ألا تختفي أنتِ عن نظرِكِ .

عالَمُ البرزخ

الميِّتُ (يخاطبُ قبره) :

ما هذا ؟ وأيُّ يومٍ تكونُ القيامةُ غَدَهُ ؟

يا بيتي القديم : ما القيامة ؟

القبر :

ألا تعرفُ بعدُ ، يا ميِّتَ المئة عام ؟
بأنَّ القيامة هي المطلبُ الخفيُّ لكلِّ موت .

الميِّت :

أنا لستُ أسيراً في شَرَكِ ذلك المَوْتِ
الذي يخفي بداخله القيامة .

فمع أنَّني مِتُّ منذ مئةِ سنةٍ
إلا أنَّني لستُ متضايقاً من هذا البيتِ الأرضيِّ المُظلم .

آه لو تَلْبسُ الرُّوحُ هذا الجسمَ الهزيلَ مرَّةً أخرى
فإنِّي لستُ راغباً في شراءِ هذه القيامة .

نداء من الغيب :

ليسَ الموتُ من نصيبِ الثُّعبان والعَقْرَبِ أو الغَزَالِ والوَحْشِ
فإنَّ الموتَ الأبديَّ ليس إلَّا للأممِ المستعبَدة .

صوتُ إسرافيل[1] لا يستطيعُ أن يبعثَ أولئكَ
الذينَ كانتْ أجسادُهم خاليةً مِنَ الرُّوح في دنياهم .

ولو أنَّ مُستَقَرَّ كلِّ ذي روحٍ هو حِضْنُ اللَّحدِ
إلا أنَّ القيامَ بعدَ الموتِ ليسَ إلا شأنُ الأحرار .

القبرُ (يخاطبُ ميته) :

آه أيُّها الظَّالمُ ، أكنتَ عبداً محكوماً في الدُّنيا ؟

---

[1] إسرافيل هو الملك الذي ينفخ في الصور يوم القيامة ، فيبعث الموتى .

لمَ ترابي ملتهبٌ هكذا ؟

ازدادتْ ظُلماتي بِجَسَدِكَ ظلمةً

وتمزَّقَتْ ستارةُ ناموسِ الأرضِ بجسدِك .

الحذرُ من جسدِ الميت المحكومِ ، الحذرُ مِئَةَ مرَّةٍ

يا إسرافيلُ ! يا ربَّ الكائنات ! النجدةَ أيَّتها الروحُ الطَّاهرة .

نداءٌ من الغَيْبِ :

مع أنَّ النِّظام الكونيَّ مضطربٌ بسببِ القيامة

إلا أنَّ هذا الاضطرابَ يكشفُ أسرار الوُجود .

بالزَّلازِل تطيرُ الجبالُ كالسَّحاب

وتظهرُ في الوُديان عيونٌ جديدة .

لا بدَّ لكلِّ تعميرٍ جديدٍ منْ تخريبٍ كاملٍ

ففي هذا حلٌّ لكلِّ مشكلاتِ الحياة .

الأرض :

آهٍ مِنْ هذا الموتِ الدَّائم ، آهٍ منْ معركةِ الحياة

هل ينتهي صِراعُ الكائناتِ إلى الأبد ؟

لا يجدُ العقلُ النجاةَ مِنْ أصنامِه

العارفُ ، العالمُ ، العامَّةُ ، جميعُهم صاروا عبيداً لِلاَّت ومناة .

كم صارَ خاضعاً ذليلاً هذا الآدميُّ المتمثِّل لصفاتِ الله

فبقاءُ هذا العالم ثقيلٌ على هذا القلبِ والنَّظر .

فلماذا لا يكونُ ليلُ هذا الإنسانِ العظيمِ سَحَراً ؟

* * *

المَلِكُ المعزول[1]

فلنُبارِكْ هذا الملكَ الطَّيِّب
الذي فَضَحَتْ تضحيتُه أسرارَ المُلوكية .
المَلِكُ في المعبد البريطانيِّ ليس إلا صنماً من التُّراب
يمكنُ أن يحطِّمه العبادُ حينما يشاؤون .
هذا المِسْكُ ممزوجٌ بالأفيون لنا نحنُ العبيد
أيُّها السَّاحرُ الإنجليزيُّ انْحتْ لنا سيِّداً آخر !

* * *

مُناجاةٌ جهنَّميٌّ

العبادُ في هذا الدَّير القديم ذوو احتياجٍ
يذكرون الله حين يتألَّمونَ منَ الأصنامِ .
ولا تفيدُهم الصَّلاةُ ، ولا تفيدُهم عبادةُ الأصنام
فحظُّ هؤلاءِ المساكينِ ليس إلا النُّواحُ والعويلُ .
مع أنَّ العماراتِ تطاولُ الفَلَك رفعةً
لكنَّ الحقيقة أنَّ كلَّ مدينةٍ كخرابةٍ عامرة .
انظُرْ إلى تقلُّباتِ خطِّ الفأس
فبرويز مزْتَوٍ ، وفرهاد ظمآنُ كبدُه[2] .
هذا العِلْمُ ، هذه الحِكْمةُ ، هذه السِّياسةُ ، هذه التِّجارةُ

---

١ أنشد هذه الأبيات بعد عزل ملك الهند ، وأعتقدُ أنَّه يشير إلى : Edward Assamen .

٢ انظر خطَّ الفأس كيف كان حين استعملها برويز ، وكيف كان حين استعملها فرهاد .

جميعُها أشياءُ من إبداع المَلَكيَّة .

شكراً لك يا إلهي ، فإنَّ هذه القطعةَ من الأرضِ الملتهبةِ[1]
حرَّةٌ من عُبوديَّةِ التَّاجرِ الأوربيِّ .

* * *

مسعود المرحوم[2]

هذه الشَّمْسُ ، هذا القَمَرُ ، هذه النُّجومُ ، وهذه السَّماءُ الزَّرقاء
منْ يدري أهذا عالمُ الوجودِ أمِ الفناء ؟
التَّفكيرُ في الرِّحلةِ والهدفِ ما هو إلا خُرافةٌ
فالحياةُ كلُّها رحيلٌ دون هدف .

واأسفاهُ لم يَبْقَ في يدِ الزَّمانِ تِذْكارُ
كمالاتِ أحمد ومحمود[3] .

تأسَّفَ العِلْمُ والفنُّ لموتِه المفاجىء
فقد كان متاعاً غالياً للقافلة .

تُبكيني جفوةُ أهل الدُّنيا
فإنَّهم يعتقدونَ أنَّ بكاء طيورِ السَّحَرِ نغماتٌ .

لا تَقُلْ : إنَّ علاجَ حزنِ الصَّديقِ يمكنُ بالصَّبرِ
لا تَقُلْ : إنَّ حلَّ لُغْزِ الموتِ كامنٌ في الصَّبر .

---

(١) جهنم .

(٢) هو صديق محمد إقبال ، وحفيد السر سيد أحمد خان ، وكان زميلاً لإقبال في الدراسة ، وأشرت إلى هذه القصيدة في الفصول السابقة

(٣) أحمد هو سرسيد أحمد خان ، ومحمود هو ابنه ، ووالد مسعود . وكان مسعودُ هو ذكرى كمالاتهم .

القلبُ الذي يَعْشقُ ويَصْبرُ ليس سوى حجر
فبينَ العِشْقِ والصَّبْرِ ألفُ فرسخ[1] .

لا تسلْني عن العُمْرِ الذي يمرُّ بسرعةٍ
فلا أحد يدري ما هذا التغيُّر والجاذبية .

كلُّ منْ خُلِقَ من التُّراب سيوارىٰ فيه
أهذه هي الغيبةُ الصُّغرى أم هذا هو الفناء ؟ ماذا ؟

وُهِبَ لغُبار الطَّريق ذوقُ الجمال
والعقلُ لم يستطعْ أن يكشفَ المعنى الخفيَّ .

أليسَ القلبُ والنَّظرُ من إعجاز هذا الماءِ والطِّين[2] ؟ وإنْ لمْ يَكُنْ
فما نهايةُ حضرةِ الإنسانِ إذاً ؟

إنَّ « لا إله إلا هو » هي روحُ الدُّنيا الخالدة
فما معنى المسيحِ والمسمارِ والصليب ؟

مِمَّنْ نطلبُ القِصاصَ لدمِ الآمال
مَنِ المُذنبُ ؟ وما هي الفِدْيةُ ؟

لا تَحْزَنْ فنحنُ مكبَّلونَ بقيد الدُّنيا
فالقلبُ الذي نملكُ يحطِّم الطلاسم[3] .

لو أنَّ معرفةَ الذَّات حيةٌ ، فالموتُ مقامٌ في الحياة ،
لأنَّ العِشْقَ يختبرُ ثباتَها بالموت .

---

(١) هذا البيت من شعر سعدي وقد ضمنه إقبال قصيدته .
(٢) الإنسان نفسه .
(٣) هذا البيت بالفارسية :
غمين مشوكه به بند جهان گرنتاريم طلسمها بشكند آن ولى كه ماداريم

لو تَكنِ الذَّاتُ حيَّةً ، فَبَحْرُكَ لا شاطِىءَ لَهُ
وموجُ النِّيلِ والفراتِ يتوقُ لأنْ يَنْدَمِجَ مَعَك .

لو تَكُنِ الذَّات ميتةً فهي كأعوادِ القشِّ أمامَ النَّسيمِ ؛
لو تَكُنِ الذَّاتُ حيَّةً فهي سلطانُ كلِّ الموجودات .

لو أنَّ البصيرةَ حُرِمَتْ منْ تجلٍّ واحدٍ
فإنَّها تحتاجُ إلى مِئَتَيْ تجلٍّ لتعويضِ ما فات .

اللَّاتُ ومناةُ منتشرةٌ من الأرضِ حتى الثريَّا
بينما مقامُ العبدِ المؤمنِ وراءَ الفَلَكِ .

مقامُه الأبديُّ هو حَرَمُ الذَّات
وليس مكانَه القبرُ المظلمُ ولا مكانَ تجلِّي الصِّفات .

أولئكَ الذين ملكوا معرفةَ الذَّاتِ والَّذين خرجوا من هذه الدُّنيا .
قد حطَّموا طِلَّسْمَ الشَّمْسِ والفَلَكِ والنُّجوم[1] .

* * *

صوت من الغيب

يأتي صوتٌ من العَرْشِ الأعلى ذاتَ صباحٍ ، يَهْتِفُ :
« كيفَ ضاعَ جوهرُ إدراكِك » ؟

كيفَ أصبحَ مِشْرَطُ التَّحقيقِ لَدَيْكَ كالًّا ؟
لماذا لا تستطيعُ أن تمزِّقَ أكبادَ النُّجوم !

لقد كنتَ جديراً بخلافة الظَّاهرِ والباطنِ

---

(١) أصله فارسي .

هلْ تكونُ الشُّعلةُ أسيرةً للأعشابِ الجافَّة[1] ؟

لماذا لا تَخْضعُ لكَ الشَّمْسُ والقَمَرُ ؟
لماذا لا ترتجفُ الأفلاكُ منْ أنظارك ؟

مع أنَّ الدَّمَ يجري في عروقِكَ
لكنَّك لا تملكُ حميَّة الأفكارِ ، ولا الفِكْرَ الجريء..

العينُ الَّتي لا يُوجدُ في ثناياها النَّظَرُ الطَّاهرُ
تكونُ مضيئةً لكنَّها لا ترى العالَمَ .

لم يَبْقَ في أحضانِك صفاءُ مرآة ضميرِك
يا قتيلَ السَّلطنة والملاَّ والمَشْيَخَةِ !

* * *

حرفياً : التِّبْنُ والنِّشارة .

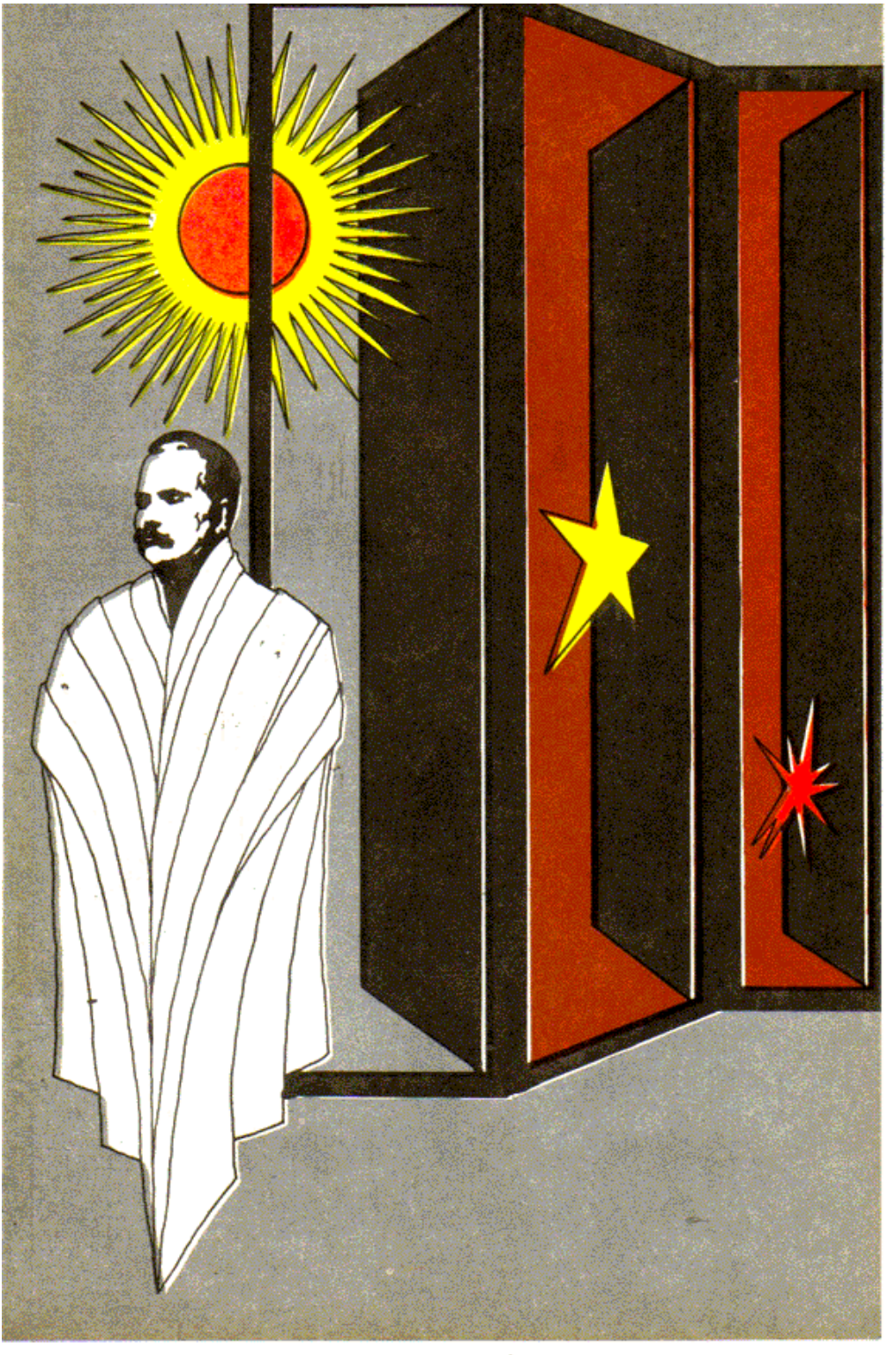

ز شرر ستارہ جُویم، ز ستارہ آفتابے
سرِ منزلے ندارم کہ بمیرم از قرارے

القسم الخامس

رُبَاعِيَّات

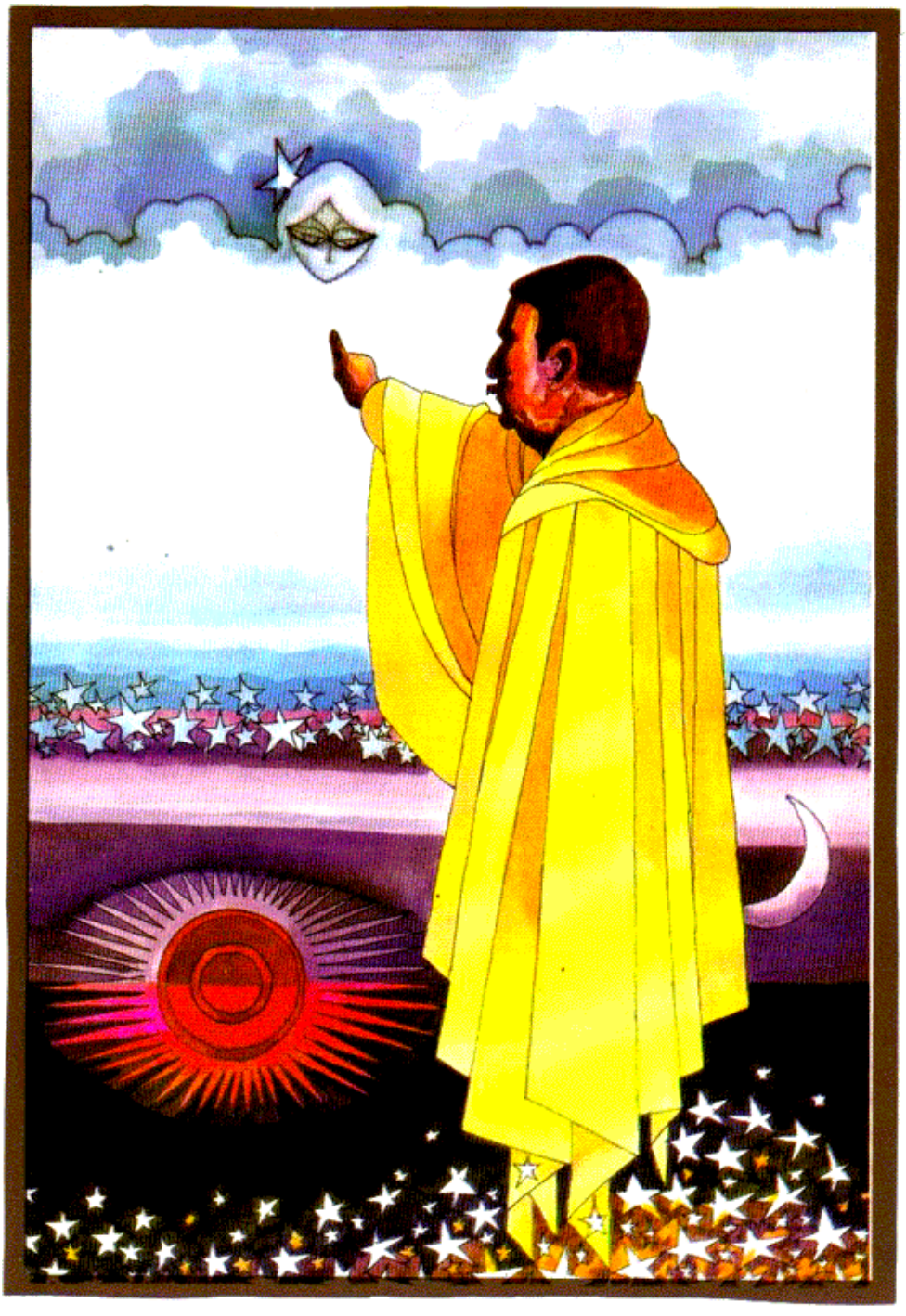

ستاروں سے آگے جہاں اور بھی ہیں
ابھی عشق کے امتحاں اور بھی ہیں

(١)

١ ـ لا أدري ما هي ثَمَرةُ غُصْنِ أملي
فأيُّ درايةٍ لي بتقديرك
بُرْعُمُ الزَّهرةِ يحتاجُ اليومَ إلى التفتح
فما فائدة انتظار نسيمِ صُبْحِ الغد !

* * *

٢ ـ حَرِّزْهُ من عَمَلِ الدُّنيا
حتَّى يتحرَّر من امتحانِ كلِّ نفس
صارَ تفكيرُ الشَّيطانِ بسَبَبِ الكِبْرِ تفكيراً قديماً
فمن أين يأتي بإثمٍ جديد ؟[١]

* * *

٣ ـ غيِّرْ وبدِّلْ عالَم الماءِ والسِّحْر
اقْلِبْ هذه الدُّنيا الجافةِ والطريَّة
ولتبقَ ألوهيَّتُكَ طاهرةً من الوصمة
واحْذَرْ من السُّجود الخالي من أيِّ ذوق .

* * *

(٢)

٤ ـ أنا في حالةِ الفَقْرِ محسودُ الغِنى
لأنَّ فقري ذو غيرة

---

[١] المفروض أن تكون آثامه قديمةً قدَمَ تفكيره ، وهنا استفهامٌ استنكاري .

الحذرَ من ذلكَ الفقرِ والتصوُّف
الذي علَّم المسلمينَ الذلَّ والخُضوع .

* * *

٥ ـ الغوثَ الغوثَ مِنْ ضيق ذيلِ العقل !!
الغوثَ الغوثَ من زيادةِ التَّجلِّي !!
إنَّ النَّظر يُفضِّل النَّظَرَ في غير الله
الغوثَ الغوثَ منْ كُفْرِ النَّظر .

* * *

٦ ـ قال إقبالٌ لشيخ الحَرَم :
منِ الذي نامَ تحتَ محرابِ المَسْجِد ؟
أجابتْ جدرانُ المَسْجِدِ :
هو الذي تاه في بيت أوثانِ الإفرنج .

* * *

٧ ـ صارت الهيجاناتُ القديمةُ رغبةً باردةً سقيمة
دماءُ المُسلمِ أصبحتْ باردةً
فلتباركْ للأصنامِ كفري
إذ إنَّ نارَ « الله هو » أصبحتِ اليومَ باردة .

* * *

٨ ـ حديثُ العبدِ المؤمنِ يتعلَّق بالقلب
الكَبِدُ مليءٌ بالدَّم ، النَّفسُ مضيئةٌ ، النَّظْرةُ حادَّةٌ
كيفَ تتيسرُ رؤيةُ المؤمنِ الَّذي يضيء المَحْفَلَ
فهو لا يختلطُ بنا إلا قليلاً .

* * *

٩ ـ صفاءُ ضميرِ الصُّبحِ المنير
يعرفُ التمييزَ بين الشَّوْكِ والزَّهر
حمايةُ الزَّهر غيرُ ممكنة
لو أنَّ في الشَّوكةِ طبعَ الحرير .

* * *

١٠ ـ لا تذكرِ الفراقَ واللِّقاء
لأنَّ أصلَ الحياةِ نفسه هو الظُّهور
إنّ انفصالَ اللؤلؤِ منْ قَلْبِ البَحْرِ
ليسَ فيه أيُّ ضررٍ للبَحْرِ ولا لِلُّؤلؤ .

* * *

١١ ـ لماذا لا يجتاحُ الطُّوفانُ بَحْرَكَ ؟
لماذا لا تكونُ ذاتُك مسلمةً ؟
عَبثٌ تلك الشَّكوى من تقديرِ الله
لماذا لا تكونُ أنت قَدَرَ الله ؟

* * *

١٢ ـ لو يَنْظُرُ العقلُ بعينِ القلب
يرى العالمَ مُضاءً بنورِ « لا إله »
ولو يَنْظُرُ إلى نورِ الشَّمس والقَمَرِ
لا يَحْسبُه إلا دورانَ الليلِ والنَّهار[1] .

* * *

١٣ ـ أحياناً ترتفعُ منَ البحرِ كالمَوْجِ

---

(١) أي : العالم .

وأحياناً تنزلُ إلى صَدْرِ البَحْرِ
وأحياناً تمرُّ على ساحلِ البَحْرِ
فأظْهِرْ لنا سرَّ مقامِ ذاتِكَ واضحاً .

* * *

مُذاكرات مُلَّا زاده ضيغم اللُّولابيِّ[1] الكَشْمِيْرِيّ

(١)

ماءُ عيونِكَ كالزُّئبقِ الرَّجراج
طيورُ السِّحرِ قلقةٌ في أجوائك
يا واديَ اللُّولاب .

لو لمْ يكنْ خطيبُ المنبرِ والمحرابِ ذا همةٍ ونشاط
فالدِّين للعبدِ المؤمنِ إمَّا الموتُ ، وإمَّا الحُلم
يا واديَ اللُّولاب .

النغماتُ المُحْرِقةُ للقلبِ إنَّما تنبُع من الآلةِ الموسيقيَّةِ
فلو كانت أسلاكُها رِخوةً فلا فائدةَ تُرْجى من مِضرابها
يا واديَ اللُّولاب .

بصيرةُ المؤمنِ خاليةٌ منْ نُوْرِ الفِراسة[2]
والخمرُ الصَّافيةُ في حانة الصُّوفية خاليةٌ من الحُرْقَةِ
يا واديَ اللُّولاب .

---

(١) ضيغم هو الأسد ، لولاب : اسم وادي في كشمير . والواقع أنَّ إقبال كتب هذا الشعر إلى أهلِ كشمير .

(٢) تلميح إلى الحديث : « اتقوا فِراسَة المؤمن فإنَّه يرى بنورِ الله » .

إنَّ الفقير[1] الذي تستيقظُ القلوبُ من آهته السِّحرية
لا يوجدُ في هذه الأمَّةِ منذُ زمانٍ
يا واديَ اللُّولاب .

(٢)

الموتُ الصَّعبُ اسمه العبوديَّةُ
ألا لَيْتَ العبدَ يَفْهمُ مَكْرَ وخِدَاعَ السَّادةِ .
انظرْ تنوُّعَ الأحكامِ في شَرْعِ المُلْكِيَّةِ
غوغاءُ الصُّورِ حلالٌ ، لذَّةُ الحَشْرِ حرامٌ .
يا مَنْ ذبُلت[2] روحُك من العبوديَّة
أتبحثُ عن مقام الذَّاتية في الصَّدر الخالي من الحُرْقَة ؟!

(٣)

كشميرُ الَّتي سمَّاها أهلُ النَّظر بالأمسِ إيرانَ الصَّغير
هوَ اليومَ بلدٌ خاضعٌ وفقير .
حينَ يخافُ رجلُ الحقِّ السُّلطانَ والأمير
تخرجُ آهاتٌ مُحْرِقَةٌ منْ صَدْرِ الأفلاك .
منزلُ الحزنِ لفلاحٍ عجوزٍ على سفحِ الجبل
يحكي لنا حكايةَ قَسْوةِ الأيَّام :
وأسفاهُ على هؤلاءِ القومِ النُّجباءِ ذي الأيدي النَّشيطةِ والدِّماغِ الخلَّاق[3] .

استخدم كلمة « درويش » بمعناها الصوفي .

استخدم اللفظ العربيَّ « مضمحل » مع الروح . وقد استبدلتها في الترجمة بكلمة « ذبلت » .

في الأصل : (تردماغ) أي : الدماغ الندي .

أيها الإله يا من تمهل الناس[1] . أين يوم الجزاء ؟

(٤)

حين تثورُ الشُّعوب المغلوبةُ على أمرها
يضطربُ هذا العالمُ ذو الأطرافِ الأربعةِ ، واللَّونِ والرَّائحة[2] .

ضميرُ الإنسانِ يتطهَّر من الظنِّ والتَّخمينِ
ويجعلُ مصباحَ الأملِ يضيءُ كلَّ طريق .

ذلكَ الفَتْقُ القديمُ الَّذي لم يستطع العقلُ رَتْقَهُ
يُخيطهُ العِشْقُ دونَ حاجةٍ إلى إبرَة أو خيطِ الرَّفَّاء .

صنمُ الحُكم له قلبٌ حجريٌّ ووجهٌ منْ زجاج
وهو يصبحُ في النهاية قِطعاً مبعثرةً من الدَّقِّ المُسْتَمر .

(٥)

عظمةُ الشَّاهين وشوكتُه توجدُ في طيرانِ الدَّرَّاج
والصَّيادُ في حيرةٍ شاهينٌ هذا أم درَّاج .

تلاطَمَتْ أفكارُ كلِّ قومٍ
فاليومَ مُظْهرٌ لغدِ القيامةِ في الشَّرق .

الميِّتُ الذي كان في حاجةٍ إلى صُوْرِ إسرافيل
اضطرَّ للقيامِ ثانيةً استجابة لمطالبِ الفطرة !

---

(١) أصله « خدا ديركي » أي الرب الذي يقبض ويحاسب الإنسان في النهاية وبعد تمهُّلٍ شديد .

(٢) في الأصل : جهان جار سو ، عالم رنگ وبو ، وهو تعبير أدبي يعبر عن العالم المحسوس الذي نعيش فيه .

(٦)

حتى السَّكِّيرون[١] أيضاً يعرفونَ كمالاتِ الصُّوفية
مع أنَّ كراماتِهم غيرُ معروفةٍ ، وغيرُ مشهورة .
حين يكونُ السَّالكُ حُرّاً فهذه هي مقاماتُه :
عزَّةُ النَّفس وثباتُها والصَّوتُ الحسنُ القائل « أنا الحق »[٢] .
حينَ يكونُ السَّالِكُ محكوماً فالعبوديةُ هي كلُّ شيءٍ له
فهو نفسُه ميِّتٌ ، وهو المريدُ ، وهو الموتُ المفاجىء نفسُه .

(٧)

اخْرُجْ من الخانقاهات ، وقمْ بتقليدِ شبير
فليسَ فقرُ الخانقاهات إلّا الهمَّ .
من دِينكَ وأدبكَ تَهُبُّ رائحةُ الرُّهبان
إنَّ هذا عالمُ الشيخوخةِ للأممِ التي حان موتُها .
في عيونِ شياطينِ المَلَكيَّةِ يوجدُ السِّحرُ
الذي يخلقُ في قلبِ الصَّيادِ طَبْعَ المَصِيْد
كيف مَضَوْا غيرَ مكترثين بآهاتي السِّحريَّةِ
ومَنِ الذي ذهب بالنَّشوةِ والنَّشاط مِنَ العيونِ الكشْميريَّةِ السَّوداء[٣] ؟

(٨)

إذا اعتقدتَ أنَّ هذا القلبَ قطرةٌ منْ دمٍ فَهُوَ كذلك
فقلبُ الإنسان إنَّما هو ـ فقط ـ جذْبةٌ عالية .

---

(١) أصله : « رند » وهو من لا يهتم بالأحكام الدينية الظاهرة ولا يتمسَّك بها .
(٢) إشارة إلى قول الحلاج « أنا الحق وما في الجبة غيرُ الله » .
(٣) « تمتاز العيون الكشميرية بسوادها وكثيراً ما تغنى بها الشعراء » .

لا يُعْجبُه دوران القمر والنجوم
فهو الذي يخطِّطُ سَحَرَهُ ومساءه .

لا يمكنُ أن يَبْرُدَ ذلك التُّرابُ الأصيلُ
الذي تَكْمُنُ في ضمير ترابه نارُ چنار[١] .

(٩)

حين انفتحتْ في الرَّوضة مكتبةُ الورود
فإنَّ العِلْمَ الكتابيَّ لم ينفعْ المُلاَّ .

كانَ هواءُ الرَّبيع محطماً للجدِّيَّة
فبدأ شيخ « أندراب »[٢] يُنشدُ الغزل .

قالت زهرةُ شقائقِ النُّعمانِ ذاتُ القميصِ الأحمر
إنَّني مظهرةٌ لأسرار الرُّوح[٣] .

منِ الَّذي يعتقدُ أنَّ النَّوْمَ في القبر هو الموتُ
إنَّ سرَ تعميرِ كلِّ شيءٍ يَكْمُنُ في تخريبه[٤] ؟

ليستِ الحياةُ سلسلةَ الأيَّام والليالي
ليستِ الحياةُ نشوةً وغفوة .

الحياةُ والاحتراقُ في نارِك
فما أسعدَ اللحظاتِ حينما تستعيدُ هذه الحِكْمَةَ :

چنار : شجرة ذات أوراق كثيرة ، تشبه كف اليد ، وتكون خضراء في الصيف ، بينما تحمر جداً في الخريف وتصبغ في لون النار الملتهبة خاصةً في الأصل .

أندراب : اسم مكان بكشمير .

لأنها مفتحة في الوسط .

أشار إلى هذه الفكرة جلال الدين الرومي بأبيات متوالية في أنشودة الناي ـ انظر المثنوي .

« لو تأخذُ شرارةً من نار القلب
فإنَّك تستطيعُ أن تجعلها شمساً تحت الفَلَكِ » .

(١٠)

شِرْيَانُ الحرِّ صُلْبٌ كَشِرْيانِ الحَجَر
شِرْيانُ المحكومِ رقيقٌ كشِرْيانِ الكرم .

قلبُ المحكوم ميتٌ سقيمٌ يائس
قلبُ الحُرِّ حيٌّ مفعمٌ بالحرارة يبعثُ الطَّرب .

ثروةُ الحرِّ قلبٌ مضيء ونَفْسٌ حاميةٌ
ثروةُ المحكومِ ليست إلا عيناً دامعة .

المحكومُ غريبٌ عن الإخلاصِ والمروءةِ
مع أنَّه بارعٌ في البراهينِ المنطقية .

ليس من الممكن أن يكونَ المحكومُ نِدّاً للحرِّ
فهو عبدٌ للأفلاكِ والحرُّ سيِّدُها .

(١١)

جميعُ العارفينَ والعامَّةِ غرباءُ عن الذَّات
فليقلْ أحدٌ إنِ استطاع : أهذا مسجدٌ أم خمَّارة ؟

لقد أخفى هذا السرَّ عنا « مير واعظ »[١]
إنَّ الفراشةَ التي تدورُ حولَ مصباح الحَرَمِ هي الحَرَمُ .

طِلَّسْمُ الجَهْلِ هو الكفرُ والتديُّن

شخصية سياسية في كشمير واسمه محمد يوسف مير واعظ كشميري ، مات في باكستان حوالي عام ١٩٦٦م .

وحديثُ الشَّيخِ والبرهمن ليس إلّا سِحْرٌ وخرافة .
فليكنْ ذلكَ العبدُ الدَّرويشُ نصيبَ هذه الأرض
ففي فقرِه تَكْمُنُ طرقُ الكليم .
إلى متى تبقى لآلىء بحيرةِ وُلَر[1] الفريدةُ من نوعها .
مختفيةً عن أعينِ الزَّمان .

(١٢)

العالمُ مضطربٌ منْ قوَّة عملهم
فالأممُ الحيَّة خاضت معاركَ كبيرةً .
إنَّ تقويمَ المُنَجِّمِ للغدِ باطلٌ
فالنُّجومُ القديمةُ سقطتْ من السَّماء .
ضميرُ العالَم ملتهبٌ بدرجةٍ عظيمةٍ
حتى أنَّ أمواجَ البحر كَسَرَتِ النُّجوم .
الأرضُ لم تَعُدْ خاليةً من الزَّلازل
فالدَّلائلُ الدَّقيقةُ للفِطرة ظاهرةٌ .
إنَّ الخضرَ ـ قابعٌ ـ يفكِّرُ على شاطىء بحيرة وُلَر[2]
إلى متى تفورُ عيونُ الهملايا !!

(١٣)

هذا هو دليلُ الشُّعوب الخالدةِ على مرِّ الزمان :
أنَّ تقديرَهمْ يتغيَّر صباحَ مساء .

---

(١) بحيرة ولر : بحيرة رائعة في كشمير يذهب إليها الأثرياء للاستمتاع بالتجديف ، وكانوا من المسلمين .
(٢) وردت قصة الخضر في سورة الكهف الآيات (٦٥ ـ ٨٢) .

حياتُهم هي كمالُ الصِّدقِ والمروءةِ
حتى الفطرةُ أيضاً تعفو عن تقصيرِهم .

أعمالُهم كأعمالِ القَلَنْدرِ ، وجلالُهم كالجَلال الإسكندري
هذه الأمَّةُ في العالم كالسُّيوفِ المسلولةِ .

إنَّ جمالَ وجلالَ الرَّجلِ العارفِ يَكْمُنُ في معرفةِ ذاتيته
هذا هو الكتابُ ، وما تبقَّى كلُّه تفاسير له .

أنا لا أُنْكرُ عظمةَ العِيد
لكنَّ ما يُقْبَلُ هو تكبيراتُ الحرِّ .

كيفَ يَعْرفُ الحكيمُ سرَّ نغماتي
وأنَّ تدابيرَ أهل الجُنون فيما وراء العقل ؟

(١٤)

كيف تقامرُ ـ قمار الحياة ـ كالكافرِ ؟
ذلكَ أنَّك تسيرُ مع الزَّمانِ ولا تسيرُ مع نفسك .

لم أرَ في مدارسِ الحَرَمِ مرَّةً ثانيةً
قلبَ جنيدٍ ونظرةَ الغزاليِّ والرَّازي .

في حُكْمِ الفتى الأعظمِ الذي هو نفسُه حُكْمُ الفطرةِ الأزليَّة :
أنَّ أعمالَ الصُّقورِ حرامٌ في عقيدةِ الصَّعْوة .

قالَ ذلكَ الفقيهُ الأزليُّ للصَّقرِ الصَّغيرِ :
عليكَ أنْ ترتبطَ بالسَّماء ولا تتعلقَ بالأرض .

أنا الذي لها أقلع عن الكلام الصَّريح
خوفاً من وشيهم بي لدى السُّلطان .

قدم التحيات منَّا نحنُ الفقراءَ إلى ترك شيرازَ

فليس في أيدينا سمرقندُ وبخارى[1] .

(١٥)

ضميرُ الغرب ضميرُ التُّجَّارِ ، ضميرُ الشَّرق ضميرُ الرُّهبان
هناك التغيير المستمرُّ في كل لحظةٍ ، وهنا لا يتغيَّر الزَّمان .

قال لي الخضر على شاطىء البحر وكأنَّني محرم لأسرارِه :
إنَّ طرقَ الإسكندر[2] والقَلَنْدر كلُّها طرقٌ سحريةٌ .

آلهة الخانقاهات يعتبروننى نِدّاً لهم
ويَخْشون ألا ينشقَّ حَجَرُ عتبتهم من نواحي

النَّصيحةُ الواضحةُ والعلامةُ المميِّزةُ لعلمٍ ومعرفةِ الأمم المستعبدة :
أنَّ الأرضَ لو ضاقت فها هو فضاء الفَلَكِ بلا حدود .

لا أعرفُ بماذا أسمِّيه ، هل أسمِّيه اختبارَ الله[3] ، أم خداعَ النفس ؟
إذ إنَّ المسلمَ أصبح خالياً من العملِ بعد أن اختلقَ من القَدَرِ عُذراً له .

قال غصنُ الوردِ عن أسري قولًا أبكى الصَّياد :
إنَّ عُشَّ هذا المغرِّدِ المفعمِ بالحُرْقةِ لم يكنْ ثقيلًا عليَّ .

(١٦)

يا أيُّها الوطن العزيزُ لا حاجةَ للشَّرح والبيانِ
عن صورةِ قلبنا المليءِ بالدَّمِ ، كشقائقِ النُّعمان .

---

(١) إشارة إلى شعر حافظ :
اگر اين ترك شيرازي بدست آرد دل مارا بخال هندوش بخشم سمرقند وبخارا

(٢) طرق الإسكندر هي طرق الحياة .

(٣) في الأصل المعنى (خداع الله) ، أم خداع النفس ؟
إذ إنَّ المسلمَ أصبح خالياً من العملِ بعد أن اختلقَ من القَدَرِ عُذراً له .

التقديرُ هو اسمٌ لمكافأةِ الأعمال
هذه هي رسالة آلهةِ الهمالايا .

جسدُه عارٍ في ريح الشِّتاءِ
ذلكَ الذي يقدِّم للأمراء رداءً من الصُّوفِ بفنِّه وإبداعه .

لا تأملْ في وفاءِ دولةِ الدُّنيا
فهي كالغزالِ ، الهروبُ من طبعها .

(١٧)

حرامٌ على منْ علَّمتْه معرفةُ الذَّات نسيانَ الجسد
حرامٌ على هذا الرَّجلِ المجاهدِ أن يَلْبَسَ الدِّرْع !

(١٨)

احْمِلْ على ذلك العزمَ الرفيعَ ، واستمع إلى عويلي
لكي تقومَ القياماتُ في صدرك أيضاً .

(١٩)

أنا غريبُ هذه المدينة ، فاستمعْ إلى عويلي
لكي تقوم القياماتُ في صدرك أيضاً .

أغنياتي الممزوجةُ بالغمِّ والحزنِ متاعٌ عزيزٌ
ونَغْمةُ القلبِ الحزينِ ليستْ عامَّةً في هذه الدُّنيا .

أنوحُ وأشكو منْ ذَوْقِ هذا الزَّمانِ الأعمى
الذي فَهِمَ محنتي على أنَّها محنةُ فرهاد .

أعرفُ أنَّ الصَّوْتَ الذي ينبعثُ مِنْ ضربِ الفأسِ على الحَجَرِ
أعرِفُ أنَّهُ آخرُ ، فهو صوتُ الفأسِ والكَبِدِ معاً .

إلى سر أكبر حيدري رئيس وزراء حيدر آباد الدَّكن[١]

كانَ هذا من أمرِ الله أن يُعطىٰ القَلَنْدَرُ
ذو الصِّفاتِ المَلَكيَّة عظمةَ برويز[٢] .

قال لي : خُذْ وصِرْ حاكماً وأعطِ الثبات
لحسنِ التدبير لكلِّ ما هو آتٍ ولكلِّ ما فات .

كنتُ مستعداً لأن أتحمل عبءَ هذه الأمانة على كتفي
لأنَّ كلَّ ما هو مرٌّ طعمه يصير في حلق الدَّرويش السُّكَّر .

ولكنَّ غيرة فقري وعظَمَتَهُ لم تستطعْ أنْ تقبل ما قدَّمه
حين قال ، إنَّ هذه هو زكاةٌ لألوهيتي .

حسين أحمد[٣]

لا يَعْرِفُ العَجَمُ حتَّى الآنَ أسرارَ الدِّين
وحسين أحمد الديوبندي ـ ما هذا العجبُ العجاب .

من يخطبُ على المنبر قائلاً بأنَّ الملَّة قائمةٌ على الوطن
كم هو جاهلٌ بمقامِ محمدٍ العربي[٤] !

عليك أن تَصِلَ بنفسك إلى النَّبيِّ فإنَّ الدِّين كلَّه

---

(١) كان رئيس وزراء الهند ، وأرسل شيكاً بمبلغ ألف روبية إلى إقبال في ذكرى ميلاده .
(٢) أي : المال والدنيا .
(٣) كان من علماء الهند ويُعدُّ من مؤسسي مدرسة ديوبند ، ومن أنصار حزب المؤتمر ، وهذا الشعر بالفارسية .
(٤) يقصد الدين .

فإنْ لم تصل إليه فكلُّ هذا يعدُّ من أعمالِ أبي لهب .

السَّيِّدُ الإنسان

وَصَلَتْ درجةُ العِلْمِ والفِكْر في هذه الدُّنيا إلى درجةٍ أنَّه لا يمكنُ لشيءٍ أن يختفي ، فهذا عالمٌ نوراني .

لو نظرَ أحدٌ لرأىٰ أنَّ حجابَ الفِطْرَةِ رقيقٌ إلى درجةِ : أنَّ البسماتِ الخفيَّةَ للملائكةِ تظهرُ واضحةً .

هذه الدُّنيا دعوةٌ لابن آدم أنْ يشاهدَ وينظُرَ
فكلُّ مستورٍ قد وُهِبَ ذوقَ التعرِّي .

هذا هو ابنُ آدمَ الذي جَعَلَ اللهُ الأنهارَ
تفيضُ من دموعه الدَّامية .

ماذا يعرفُ الفَلكُ ؟ مقرُّ مَنْ هذا المسكنُ التُّرابيُّ ؟
والهدفُ مِنْ خَلْقِ النُّجومِ هو حراسةُ بيتِ مَنْ ؟

لو أنَّني مقصودُ الكلِّ فماذا « ما ورائي »
وما هي نهايةُ اضطراباتي المتجدِّدة !!

جہانِ تازہ کی افکارِ تازہ سے ہے نمود
کہ سنگ و خشت سے ہوتے نہیں جہاں پیدا